الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري- قسنطينة
رقم التسجيل:.....
كلية العلوم الانسانية والإجتماعية
قسم التاريخ والاثار
الرقم التسلسلي:.....

التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429 -534 مـ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالب:
العود محمد الصالح

إشراف الأستاذ الدكتورة:
محمد الصغير غانم

لجنة أعضاء المناقشة:

د: بلقاسم رحماني	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر	رئيسا
د: محمد الصغير غانم	أستاذ محاضر	جامعة منتوري قسنطينة	مشرفا ومقررا
د: عبد العزيز بلحرش	أستاذ تعليم عالي	جامعة منتوري قسنطينة	عضوا مناقشا
د: يوسف عيبش	أستاذ تعليم عالي	جامعة منتوري قسنطينة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2010/2009

التاريخ هو ذاكرة الأمم والشعوب ،

ومن فقد ذاكرته

يعيش تائـها

في هذا الوجود

قائمة لبعض المختصـــــرات بالعربية:

م: الميلادي

ق.م.: قبل الميلاد

د.ت: دون تاريخ

ت: ترجمة

ج : الجزء

ص: الصفحة

ط: الطبعة

A.A.A. *: Atlas Archéologie de l'algerie .*

Ant .Afr. *: Antiquités Africaine .*

B.S.G.A.O*. : Bulletin de socité de Géographie et arcchéologie d'oran Belles lettres .*

C.R.A.I. ***:*** *Comptes Rendus des sciences de l'académie des inscriptions et Belles lettres .*

C.R.A.I.B. *:Comptes Rendus de l'académie des inscriptions et Belles lettres .*

COLI *. : Collection de la province d'oran du départemant de Constantine .*

Ed *. : Edition .*

H.L.A.Ch. *: histoire littéraire de l'afrique Chrétienne.*

H.N. *: Histoire Naturelle .*

M.A.H *: Mélanges d' Arcchéologie et Histoire .*

R.Af *: Revnue Africaine .*

R.A. *: Revnue Arcchéologie.*

R.S.A.C*. : Recuelle des notices et mémmoires de la société de arcchéologie héstorique Géographique du départemant de Constantine .*

مقـدمـــــة

لقد عرفت بلاد المغرب القديم العديد مـــن الهجـــرات البـــشرية التـــي بـــدأت بالفنيقين الذين كانوا يهتمون بالتجارة، لمـــا يحتويـــه هـــذا الحيـــز الجغرافـــي مـــن المنطقة من ثروات نباتية وحيوانية ومعدنية، وانتهـــت بـــالبيزنطيين الـــذين أعـــادوا بناء صرح الإمبراطورية الرومانية في جزئها الـــشرقي بعـــدما تـــم القـــضاء علـــى الوندال الذين كان لهـــم دور كبيـــر فـــي تحطـــيم الامبراطوريـــة الرومانيـــة التـــي عرفت الانهياروالانحطاط في الجهة الغربية.

قد نقول ونصدق القول أن الدراسات التي اهتمت بهـــذه الحقـــب التاريخيـــة الـــسالفة الذكر كان لها نـــصيب معتبـــرا مـــن اهتمامـــات الكثيـــر مـــن البـــاحثين، غيـــر أن ماتجدر الإشارة إليه هو الأجحاف في حـــق تلـــك الفتـــرة التاريخيـــة التـــي ميزهـــا التواجد الوندالي وما واكبه من مختلف الأحداث التـــي تجـــاوز امتـــدادها قرنـــا مـــن الزمن كان مصرحها بلاد المغرب القديم.

إذا كانت الممالـــك الجرمانيـــة قـــد لعبـــت الـــدور الرئيـــسي فـــي ضـــرب الإمبراطورية الرومانية من جهة الشمال والجهـــة الـــشمالية الـــشرقية فـــإن الونـــدال الذين يشكلون فئة هامة من الـــشعوب الجرمانيـــة كـــان لهـــم الـــدور البـــارز فـــي ضربها من الجهة الجنوبية.

ومن هد المنطلق فأول سؤال يفرض نفسه هو:

ما هو الـــسر الـــذي يكمـــن وراء إلتفـــاف الونـــدال حـــول الإمبراطوريـــة الرومانية الواسعة الأرجاء انطلاقـــا مـــن الـــشمال ثـــم الـــشمال الـــشرقي عـــابرين البحر الأبيض المتوسط عبر مضيق جبـــل طـــارق إلـــى غايـــة أجزائهـــا الجنوبيـــة المتمثلة في البروقنصلية والموريطانيتين السطايفية والطنجية؟.

وإذا كانت المقاطعة الإفريقية قد تميـــزت بإســـهامها الكبيـــر فـــي الحـــضارة الرومانية سواء تعلق الأمـــر بالتقاليـــد الـــسياسية أو المدنيـــة أو بالجانـــب الفكـــري والعمراني فمـــا هـــو دور الكيانـــات الـــسياسية المحليـــة التـــي عُرفـــت بالكيانـــات

المورية في إضعاف شوكة القوة الرومانية التي سيطرت على الوضع حوالي خمسة قرون كاملة؟، وما علاقة الوندال بكل ذلك ؟.

يرى الكثير من الباحثين أن انحطاط الإمبراطورية الرومانية الغربية يعود إلى مجموعة من الأسباب والعوامل الإقتصادية والاجتماعية والدينة والسياسية والتي شكلت بدورها عاملا جذابا لفت انتباه الوندال الذين استغلوا تلك الظروف لتحقيق أهدافهم وإشباع أطماعهم بكل ما تمتلكه بلاد المغرب القديم من خيرات زراعية وحيوانية .

ومما لاشك فيه أن الوندال كانوا على دراية تامة بما تشكله الضفة الجنوبية لحوض البحر الأبيض المتوسط من قاعدة أساسية لقوة الإمبراطورية الرومانية. ومن خلال ذلك يجب علينا طرح السؤال التالي:

هل الإمكانيات التي تزخر بها بلاد المغرب القديم كانت هي الهدف الرئيسي للوندال وما الوجود الروماني سوى عاملا معرقلا لتحقيق ذلك؟، أم أن الهدف كان هوالوصول إلى روما ولو بطرق ملتوية؟، وما الإمكانيات والخيرات التي تزخر بها بلاد المغرب القديم سوى عاملا قويا في يد الرومان ولذلك وجب على الوندال اتباع خطة لتسهيل تحقيق هدفهم الأساسي المتمثل في القضاء على مدينة روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى وأمام كل هذه الظروف والمعطيات كيف تعامل المغاربة القدماء المور الذين يعتبرون المحور الرئيسي الذي تدور في منطقتهم كل الاحداث؟.

والجذير بالملاحظة أن الدراسات التي تناولت الوندال في بلاد المغرب القديم كانت قليلة وحتى ما وجد منها قد تركز أساسا حول الوندال والعوامل التي دفعتهم إلى الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط مسيطيرن بذلك على جزء كبير من شمال إفريقيا. كما أن أغلبية تلك الدراسات تعرضت إلى أصول وفروع هذه الأقوام الجرمانية، والعوامل التي دفعتهم إلى ذلك الجزء

الهام من العالم القديم. لكننا نجد هذه الدراسات لم تول أي اهتمام بذكر المغاربة القدماء وتبيان موقفهم من هؤلاء الغزاة الجدد .

إذا وأمام الوضع الذي أشرنا إليه آنفا يجدر بنا أن نبحث عن وضعية العنصر المحلي المغاربي الذي يعتبر المحور الرئيسي الذي تدور حوله كل هذه الأحداث وما مدى تأثره وتأثيره في ذلك الزخم الكبير من الأحداث التي اتسمت بالعنف في بعض مراحلها.

والحقيق أقول أن هناك أسئلة كثيرة تبقى عالقة في مثل هذه المواضيع التي لم تحض باهتمام الدارسين مع أن مجال البحث فيها واسع، إلا أنني أكتفيت بتحديد القرن الخامس ميلادي كإطار زمني لموضوع البحث، قناعة مني بأهمية تلك المرحلة التاريخية والتي تعد حلقة هامة في سلسلة الحقب التاريخية لبلاد المغرب القديم.

أما الإطار المكاني فقد تركت الموضوع مفتوحا على كامل بلاد المغرب القديم ذلك أن نطاق الإحتلال الوندالي في شمال افريقيا كان محدودا.

لقد تميزت فترة الاحتلال لبلاد المغرب القديم بندرة مصادرها الأدبية والمادية ماعدا البعض منها التي يمكن اعتبارها من الأدوات الأولى والأساسية في بحثنا هذا ممثلة في:

1. بروكوب: Procope de Césarea :

هو مؤرخ إغريقي ولد بقيصرية – فلسطين- شارك في عدة حروب رفقة القائد البيزنذطي " بيليزاريوس" في حملته على إفريقيا سنة 533 م كانت أهمها مشاركته في الحرب ضد الفرس.

لذلك فإن مؤلفات بروكوب تشكل المصدر الأساسي لدراسة جزء هام من تاريخ المغرب القديم خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، فقد ألف

كتب الحروب الثمانية والتي تطرق في واحد منها إلى الحروب ضد الوندال Bellum Vandalorum [1].

لقد تطرق بروكوب في كتبه تلك إلى ثلاثة محاور رئيسية كان أولها قد خصص لتاريخ الشعب الوندالي وكيفية دخوله بلاد المغرب القديم. مع استعراض موجز لملوك الوندال والأحداث الهامة التي ميزت المائة سنة من حكمهم، إلى جانب تقاليد ذلك الشعب وعاداته، كما تطرق في كتاباته إلى الإمارات المورية والتي بيَنها على أنها مجموعات بشرية تتقبل الهيمنة الرومانية[2].

أما بالنسبة لسكان بلاد المغرب القديم فإن بروكوب يفرق بين ثلاث عناصر أساسية هي :

الرومان والأفارقة وأخيرا المور الذين يصفهم بالبرابرة، وبذلك يظهر تحيزه وكراهيته لهؤلاء المور. فالموري عنده هو إنسان غير متحضر، يجسد كل مظاهر التخلف والهمجية، يمكن أن تستشف كل ذلك من قوله :

" ... لا يوجد لدى المور، لا خشية للإله،ولا إحترام للإنسان، فلا يولون أي اعتبار لتعهداتهم . ولا للرهائن، حتى وإن كانوا أبناء أوإخوة قادتهم، ولا يمكن الحفاظ على السلم معهم إلا بالخوف من العدو الذي يواجههم ..." [3] .

وهكذا يمكن أن نستنتج من نصوص بروكوب العديد من الأحكام التي يمكن أن نستفيد منها في عدة مجالات، كالجانب الجغرافي إنطلاقا من حديثه

---

(1) عيبش يوسف، المور والبيزنطيون، رسالة لنيل شهادة المادجستير،سنة ، ص 4.

(2) Procope, la Guerre contre les Vandales, (B.V.), I. 25. 5- 7. Trad.D. Roques, ed, Belles lettre, Paris, 1990.

(3) B.V. II. 8 ,9-11.

عن منطقة الأوراس أو سهول أبيقاس Abigas أو بعض الأحداث التاريخية كتعرضه للعديد من الشخصيات المورية مثل أنتالاس ويابداس...إلخ. [1]

يضاف إلى المصدر السالف الذكر بعض المصادر المسيحية والتي تعتبر كثيرة من حيث العدد إلا أنها لا تتعدى في قيمتها المسائل اللاهوتية، ومن بين أهم تلك المصادر التي نستشف منها بعض الإشارات التي ساعدتنا في إنجازهذا البحث ما تركه "فيكتور دي فيتا" (Victor deVita) الذي كتب عن عمليات الإضطهاد التي تعرض لها الكاثوليك على يد الوندال في بلاد المغرب القديم.

أما فيما يخص الدراسات الحديثة فقد تمكنا من الإستعانة بالبعض منها ويأتي في مقدمتها العمل الذي أنجزه الأستاذ كريستيان كورتوا (CH.Cortois) تحت عنوان " الوندال وإفريقيا" الذي طبع بباريس سنة 1955. إضافة إلى الدراسة التي قام بها الأستاذ ألبارتيني (Albertini) معتمدا في ذلك على الالواح الخشبية المكتشفة بنواحي تبسة.

إن الملفت للإنتباه في الدراسات الحديثة هو خلفيات المدرسة الإستعمارية التي تبقى لمساتها واضحة في معالجة مختلف جوانب تاريخ بلاد المغرب القديم .

كما يمكننا أن نضيف للدراسات الحديثة التي أشرنا إليها آنفا ما أنجزه الباحث محمود سعيد عمران في كتابه " مملكة الوندال في شمال افريقيا" الذي طبع بالعاصمة المصرية القاهرة عام 1975 م والذي لم يخرج هو الآخر عن نطاق تسليط الضوء على الوندال انطلاقا من تحركاتهم من بحر البلطيق إلى غاية قرطاجة ثم حربهم مع القائد البيزنطي جوستينيان وانهزامهم على يده دون التطرق لوضعية شمال إفريقيا وسكانها المور الذين كانوا يشكلون محور

(1) B.V. II , 19, 18 ; 20,23 ; II, 19, 11-15

الصراع في بلاد المغرب القديم.

لقد دفعني لاختيار هذا الموضوع مجموعة من الأسباب الشخصية والعلمية والتي يتمثل أهمها فيما يلي :

1. تاريخ شمال افريقيا القديم الحافل بتعاقب الحضارات المختلفة وما تركته من بصمات في مختلف الميادين ومما لا ريب فيه أن لكل منها آثار بارزة إن على المستوى المادي أو المعنوي مما يستوجب التوقف حيالها بالدراسة والبحث المعمق. ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أحاول كشف آثار التحولات الحضارية في شمال إفريقيا أثناء الفترة الوندالية والإطلاع عن جوانبها، علَني أوفق في المشاركة في دفع مجال البحث ولو بقدر بسيط حول تلك الفترة التي لا تزال تنتظر فؤوس المنقبين الآثريين للكشف عن لقاها الأثرية وعلماء اللغات القديمة لفك كتابة نقوشها.

2. إن المتصفح لجل الدراسات لا سيما الغربية منها يلاحظ ذلك الإهتمام الكبير بالعناصر الغازية لبلاد المغرب القديم، وإهمال تاريخ منطقة على امتداد كامل حقبها الزمنية، وهكذا لم تفلت الدراسات التي تطرقت للغزو الوندالي لبلاد المور هي الأخرى من هذا التوجه.

3. إدراكي لأهمية هذا الموضوع بعدما ناقشته مع الأستاذ المشرف الذي فتح لي الشهية في البحث من أجل إبراز بعض القضايا التاريخية محاولين في ذلك خدمة هذا الوطن.

وللوصول إلى تحقيق أهداف هذه الدراسة وتغطية أهم جوانبها توجب علي وضع خطة حددت فيها مدخل وخمسة فصول أساسية كانت كما يلي :

تناولت في المدخل الوضعية العامة لشمال إفريقيا قبيل الغزو الوندالي،

حيث أشرت إلى الإطار الجغرافي لبلاد المغرب القديم ثم انتقلت إلى إبراز الخريطة البشرية لهذه الرقعة الجغرفية أثناء فترة الاحتلال الروماني والتي قسمتها إلى مجموعة الغرب ومجموعة الوسط والشرق.

أما الفصل الأول فقد قسمته إلى جزئين، الجزء الأول خصصته لدراسة الأوضاع العامة لشمال إفريقيا قبيل مجيئ الوندال انطلاقا من الأوضاع الإقتصادية السائدة في نهاية عهد الأمبراطورية الرومانية وما تميزت به الجوانب الزراعية والصناعية والتجارية ومدى نسبة حجم الضرائب التي سلطت على العنصر المحلي وتأثيرذلك على العلاقة بين المغاربة وإدارة الإمبراطورية الرومانية، ثم الأوضاع الإجتماعية السائدة أنذاك لما يكتسبه هذا الجانب من أهمية في توضيح الطبقات الإجتماعية السائدة في تلك الفترة، مع إبراز دور القبائل التي كانت تشكل أساس البنية الاجتماعية. كما تطرقت إلى الأوضاع الدينية السائدة في فترتين مختلفتين، الأولى قبل ظهور المسيحية والثانية من بعد ظهورها والتي تحالفت مع السلطة الرومانية، وهذا ما ترتب عنه عدة حركات وثورات مناهضة للوضع السائد كان أهمها الحركة الدوناتية . ثم ختمت الجزء الأول من هذا الفصل بالخوض في الأوضاع السياسية والعسكرية التي كان لها دور كبير في إضعاف شوكة الإمبراطورية الرومانية وظهور ثورة الريفيين، التي كان لها شأن هام في الأحداث التاريخية أنذاك.

كذلك خصصت الجزء الثاني من هذا الفصل إلى أفول نجم الدولة الرومانية مبرزا أهم التفسيرات الطبيعية والدينية والإقتصادية والسياسية التي أظهرت بوضوح أسباب انهيار الإمبراطورية الرومانية فاتحة المجال أمام الغزو الوندالي لشمال إفريقيا.

لقد تطرقت في الفصل الثاني من هذه الدراسة إلى أهداف الغزو الوندالي لشمال إفريقيا إنطلاقا من التعريف بالوندال معتمدا في ذلك على بعض البحوث والتفسيرات لكثير من الدارسين مثل كورتوا ومحمد البشير شنيتي. ثم تناولت أسباب الغزو الوندالي لشمال إفريقيا والمسار الذي تتبعه

هؤلاء القوم انطلاقا من الشمال الأوروبي إلى غاية أقصى مكان سيطروا عليه في شمال إفريقيا.

كما بينت في الفصل الثالث مطامع وأهداف الوجود الوندالي بعد عملية الغزو لبلاد المغرب القديم حيث حاولت ابراز نطاق السيطرة الوندالية وأهم المناطق التي وضعوا عليها أيديهم وجعلوها مراكز أساسية لتحقيق أطماعهم وتلبية غرائزهم ثم أشرت بعد ذلك إلى الكيانات السياسية التي وجدت في تلك الفترة والتي كان لها الدور الهام في مجريات الأحداث التاريخية سياسية كانت أو عسكرية وما علاقتها بالكيان الوندالي الذي يتمثل في وجود ستة ملوك وندال كان أهمهم يدعى الذي كان له الأثر الكبير في مختلف الأحداث. وبما أن العنصر المحلي المغاربي لم يكن جثة هامدة فحاولت إبراز أهم الثورات التي تصدت لعملية الغزو الوندالي وما ترتب عنه من أساليب إستغلالية لصالح هؤلاء الأخيرين. وقد حصرت تلك الثورات في كل من ثورة الأوراس وثورة الجمالة وثورة أنطلاس. وختمت الفصل بالتحدث عن الكيفية التي إنتهى بها الوجود الوندالي في شمال افريقيا .

أما الفصل الرابع فقد جرى فيه التركيز على التحولات الإقتصادية في شمال افريقيا أثناء فترة الوندال وذلك عن طريق البحث في المجالات التالية:

- ماهي العملة التي كان يتعامل بها الوندال في شمال إفريقيا، وهل كان لهم نصيب في سكها بأنفسهم؟.

- ما هو دور الأهالي في الملكيات الزراعة وكيف تعاملوا هؤلاء الغزاة الجدد الذين استولوا على الأراضي من أصحابها،وهل بقي للفئة الرومانية ملكيات خاصة من تلك التي كانت تسيطر عليها قبل الغزو الوندالي؟.

- ما هو دور العملية التجارية من وإلى بلاد المغرب، وما مدى نشاطها على الصعيد الداخلي والخارجي؟.

لقد أنهيت البحث بفصل أخير ركزت فيه على التحولات الثقافية الاجماعية مبرزا تركيب طبقات المجتمع الوندالي من النبلاء والمحاربين وطبقة العبيد ثم نظام الحكم الذي سلكوه وكيف تعاملوا مع ما ورثوه من النظام الروماني السابق في شمال إفريقيا. دون نسيان الديانة الأريوسية الوندالية وكيفية تعاملها مع المور الذين كانوا يدينون بالوثنية والمسيحية من بعدها، كما حاولت التنقيب عن اللغة التي استعملها الوندال في شمال افريقيا وكيفية التعامل مع اللغة اللاتينية السائدة في كل المعاملات وخاصة الإدارية منها، وهل كانت لهم نشاطات أدبية وفنية أظهرت ثقافة الشعب الوندالي بما فيه الكفاية، وفي نهاية هذا الفصل حاولت إبراز كيفية تعامل الوندال مع الموروث العمراني، وهل كان لهم نصيب في البناء والتشييد في مختلف المجالات العمرانية الدينية والدنيوية.

ختمت البحث بخاتمة ضمنهتها بعض الإستنتاجات والنتائج التي توصلت إليها بعد قيامي بدراسة هذا الموضوع من مختلف جوانبه.

لقد واجهتني في لم أشتات هذا الموضع العديد من الصعوبات تعود من جهة إلى نقص خبرتي في البحث وإلى التقنيات الكبيرة التي تفرضها دراسة التاريخ القديم أصلا وذلك لارتباطه بالدراسات الأثرية النقوشية وضرورة التحكم في اللغة اللاتينية وغيرها من الشروط . فضلا عن قلة المادة الخبرية التي عاصرت الموضوع والتي كتبت من قبل المؤرخين القدامى الأجانب الإغريق والرومان والفرنسيين.

إلى جانب ذلك فإن جل المصادر كان أصحابها معادين للوندال، ولهذا كانت دراستهم في مجملها مبنية على الأحكام المسبقة.

إن أغلبية المصادر والمراجع كتبت باللغة الأجنبية، وخاصة المصادر الأساسية وهذا ما يتطلب جهدا مضاعفا ووقتا أطول لترجمة المقالات والنصوص ووضعها في السياق العربي.

وفي الأخير فإنني أتوجه بالشكر إلى أستاذي المشرف " الدكتور محمد الصغير غانم" الذي وضع قدمي على هذا التخصص وقبل الإشراف عملي وتوجيهي ليصبح على ما هو عليه، كما أشكر كل أساتذة معهد التاريخ والآثار بجامعة علي منجلي قسنطينة لما قدمه لي من نصائح ومساعدات، دون نسيان زملائي في المعهد وكل عمال المكتبات.

المـــدخل

المــدخل

الوضعية العامة في شمال إفريقيا قبل الغزو الوندالي

أولا – تحديد الإطار الجغرافي لبلاد المغرب القديم

ثانيا– الخريطة البشرية لبلاد المغرب القديم أثناء فترة الإحتلال الروماني .

1. **مجموعة الغرب .**
   - **أ. الموريون**
   - **ب. قبائل البقواط**
   - **ج. قبائل البوار**
2. **مجموعة الوسط والشرق.**
   - **أ. النوميديون**
   - **ب. الجيتوليون**
   - **ج. الموزلامي**

مـــدخـــــل:

أولا : تحديد الإطار الجغرافي لبلد المغرب القديم:

يشمل الإطار الجغرفي لدراسة تلك المنطقة الممتدة من طرابلس إلى المغرب الأقصى، على طول الساحل والتل الإفريقي، الذي هو شريط يمثل الأرض الخضراء، يتسع أحيانا ويضيق أحيانا أخرى، يتميز بمناخ معتدل يجعله صالحا ليسكنه الإنسان منذ عهود موغلة في غياهب ما قبل التاريخ، بل هناك من الباحثين من لا يستبعد أن تكون منطقة عين حنش بالجزائر الحالية، هي مهد أول استقرار بشري في منطقة شمال افريقيا[1].

وإذا كانت الصحراء تتصل بهذا الشريط عبر غابات آهلة بالحيوانات والنباتات، فإن فترات الجفاف جعلت منها عازلا للشريط الشمالي عن بقية منطقة القارة الإفريقية، وهذا الوضع من شأنه أن يدفع إلى تبادل التأثيرات الحضارية مع الشمال.[2]

والجدير بالذكر أن المنطقة المغاربية المشار إليها آنفا، كانت تزخر بخيرات طبيعية وثروات مادية وحيوانية ونباتية جعلت منه رقعة جغرافية جذابة لمختلف الأجناس البشرية، بداية من الفينيقيين، فالرومان ثم الوندال والبيزنطيين الذين تلاهم العرب الفاتحين وكذا الحضور العثماني الذي تلاه الغزو الفرنسي الذي يعتبر آخر الموجات البشرية التي حاولت السيطرة على كل الشمال الإفريقي.[3]

لقد كانت تسكن هذا الحيز الجغرافي هذا الحيز الجغرافي الذي يطلق عليه اليوم المغرب القديم منذ أقدم العصور فسيفساء بشرية متنوعة جابت كامل أرجاءه من أقصى شرقه إلى أقصى غربه، ومن الشريط الساحلي الشمالي إلى أقصى الأراضي الصحراوية في الجنوب. وهو ما يجعلنا نوجز خريطته البشرية، لاسيما في نهاية فترة الاحتلال الروماني في المجموعات البشرية التي سنشير إليها في الصفحات التالية

---

[1] سحنون محمد، دراسات حول عين حنش،.....

[2] – محمد إبراهيمي الميلي، الجزائر في ضوء التاريخ، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص ص. 7-8.

[3] – نفسه، ص. 9.

ابتداء من الغرب إلى الشرق، ثم من الشمال إلى الجنوب سالكين في ذلك منهج التسميات الأنثربولوجية القبلية التي أطلقها من سبقونا في تناول تاريخ المنطقة.

ثانيا: الخريطة البشرية لبلاد المغرب القديم أثناء فترة الاحتلال الروماني

1- مجمـــوعـــة الغـــرب:

أ/ الموريـــون (Maures):

كان أول من استعمل مصطلح "موريزيا" هم الجغرافيون الإغريق القدامى، ويعني ذلك بالنسبة لهم الرقعة الجغرافية الأكثر بعدا بالنسبة لبلادهم والتي تقع في أقصى الغرب[1]. غير أن هذه اللفظة تحرفت وصارت موري (Mouri) فشاعت وانتشرت عند الرمان غير أنها بقيت ذات دلالة جغرافية تطلق على ليبيا الغربية أي القسم الغربي من بلاد المغرب[2].

وحول نفس المصطلح الآنف الذكر يتفق الكثير من المؤرخين على أن لفظ (مارو) هو تحريف للفظ ماحوريم الذي يعني الغرب، فموريزيا هي "ماحوريت"، أي بلاد الغرب، وتقابلها في الإغريقية هيسبيريا (Hesperii)، وهي عبارة كانت مستعملة عند الإغريق للدلالة على الجهة الغربية من العالم القديم، أي منطقة غروب الشمس[3].

لقد ارتبطت تسمية الموريين أثناء الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا أكثر بالمفهوم الإداري والسياسي للمنطقة أكثر من ارتباطها بالسكان الذين أطلقت عليهم[4]، وبذلك تغير مدلولها من الإطار الجغرافي الذي كان مرتبطا به سابقا إلى المدلول السياسي الذي يعني السكان الخاضعين للسيطرة الرومانية في كل من الموريطانيتين السطايفية والطنجية[5] .

---

(1) – محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر، 1984، ص .57.

(2) - Strabon, Géographie, trad. Amédée, trad en, ed. Hachette, Paris, 1880, livre 17.

(3) - Lat (E.), Essai sur la province Romaine de Mauritanie cesarienne, Paris, 1891, PP. 55-56 ; Chenier, Recherche historique sur les Maures, 1884, P. 38 ; Tissot (CH.), Recherche sur la géographie comparée de la Mauritanie tingitane, Paris, 1877, P. 392.

(4) - Desauges (J.), Catalogue de trebus Africaines, DaKar – Paris, 1962, P. 36.

(5) - Camps (G.), "L'inscription de Beja et le problème de Dii Mauri"; R.AF; 1954, PP. 253-254.

إن من بين أشهر القبائل المورية التي ذاع صيتها في فترة الاستعمار الروماني، نشير إلى قبائل الباقواط والبوار الذين توافرت مضاربهم في الغرب الجزائري الحالي.

ب/ قبائل البقواط (Baquates):

تعد قبائل الباقواط من بين القبائل الكثيرة العدد وخاصة منها المتمركزة بموريطانيا الطنجية، والتي ذكرتهم العديد من النقوش اللاتينية مبينة علاقتهم بالسلطة الرومانية، وتحركاتهم الإقليمية والأحداث التي كانوا طرفا فيها[1]. كما ورد ذكر الباقواط في معظم المصادر الأدبية، وفي كتب الرحالة، غير أنها اختلفت في ضبط مواقعهم وتحديد علاقتهم بالقبائل الأخرى المجاورة لهم، لكن بعض المصادر التي أشير إليها حصرت موطنهم فيما وراء الملوية[2].

ج/ قبائـــل البـــوار (Bavares):

ترسم لنا المعلومات التاريخية المتعلقة بالبوار خريطة تقريبية لمواطن ذلك الشعب الكبير الذي كان يتمركز بين التل الوهراني وجبال البابور[3]، فهم بذلك التحديد قوم جبليون ومزارعون ومربوا مواشي، كما يرى البعض الآخر من المؤرخين أنهم كانوا بدوا متنقلين عبر السهوب من نهر الملوية غربا إلى جنوبي سطيف[4].

لقد اشتهرت قبائل البوار بقوتها وكثرة عددها وتحركاتها المستمرة التي كانت تشكل ضغطا مقلقا على الاستعمار الروماني في ولاية موريطانيا القيصرية وكثيرا ما اتحدت وانضوت تحت زعامة أمراء أو ملوك تعاونوا على ضرب تحصينات الجيش الروماني[5].

---

(1) - Gagnat(R), Corpus Inscriptionum Latinarum (C.I.L.), T. VIII, Berlin.

(2) – الملوية: ويقصد به نهر الملوية الذي تموقع الباقواط بينه وبين مرتفعات جبال الأطلس الأوسط حيث اعتبرت هذه المنطقة، كان انطلاق توسعاتهم نحو الشمال والشرق. ولمزيد من المعلومات أنظر: محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 161.

(3) - Camps (G.), "Les Bavares, peuples de Mauritanie césarinne", R.A., 1955, P. 664.

(4) - Thouvenot (R.), Rome et les barbares Africains, 1945, P. 175.

(5) - Galand (L.), "Baguates et Barghwata", Hesperis, (35), 1948, PP. 204-206.

2- مجمـــوعة الوسط والشرق:

أ/ النوميديون (Numidii):

النوميديون هم مجموعة قبلية مارست سيادتها على أوسع رقعة من المغرب الأوسط، يجاورون القرطاجيين غربا ويمتد تواجدهم إلى نهر الملوية غربا. حيث وسع العاهل ماسينيسا الحدود الشرقية حتى بلغت خليج السرت الكبير، غير أن تلك الحدود تقلصت فيما بعد على يد القوات الرومانية وانحصرت بين الوادي الكبير شرقا إلى غاية وادي الملوية غرب، وأصبح إقليمهم يعرف بموريطانيا القيصرية. أما السكان في مصطلح الإدارة الرومانية فهم يدعون بالموريين[1]. وعند اختلاطهم بالجيتوليين صاروا متنقلين حيث قويت شوكتهم حتى أصبحوا يسيطرون على معظم البلاد [2].

ب/ الجيتوليون (Gaetulii):

تتوزع قبائل الجيتول بحيث تسيطر على كامل المنطقة المحصورة بين المحيط الأطلسي غربا وفزان بليبيا شرقا، وقد كانت تلك القبائل متعددة الأصول جمعها ذلك الإطار الجغرافي الواسع المتمثل في السهوب والمرتفعات الجنوبية وحواف الصحراء الشمالية، أي الإقليم الذي يشكل نقطة الانتقال الطبيعي من الشمال إلى الصحراء، ولهذا فهم يعتبرون بدو يمتهنون تربية المواشي، مع أن البعض منهم كان قد سكن سلسلة جبال الأطلس الصحراوي الجنوبية[3].

ومن أهم الصفات التي نعتوا بها أنهم يعتبرون من بين أقوى القبائل الليبية[4]، الكثيري الحركة والتنقل[5]، كما كانوا قوما محاربين أكثر من غيرهم[6]. لكن تبقى أهم

---

(1) – الموريون (Maures): مصطلح الموريون أو المور " Maurus " أستمد من الليبية "المورو" ومن الإغريقية "موريزيوس" Maurusios " وعلى حد تعبير بلين القديم هم أهم قبيلة موجودة بمقاطعة موريطانية الطنجية، لكن هذه التسمية لم تبق محصورة في هذا الإطار الجغرافي بل تعدت إلى المفاهيم الدينية، حيث سميت المعبودات الوثنية القديمة بكل من موريطانيا ونوميديا والبروقنصلية بـــ "آلهة المور"، لمزيد من المعلومات أنظر: Camps (G), les berbères mémoire et identité, ed. des hésprides, Toulouse, 1980, P.143.

(2) - Sallustius, Bellum Jugurthinum, XVII.

(3) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 165.

(4) - Strabon, Géographie, trad. par I. Amedée, Paris, 1980, XVII, 19.

(5) - Pline l'ancien, H.N.V.

(6) - Sallustius, Bell Jugurthinum, Trad. et annoté par G. Walter, Coll. Plieade, 1968, XVII.

ميزة يمكن إبرازها في هذا الصدد هي أن تلك القبائل الجيتولية كانت تشكل دوما مصدر قلق للسلطة الرومانية، رغم محاولة هذه الأخيرة الحد من تحركاتهم وامتصاص قوتهم بشتى الوسائل والطرق[1].

ج/ المـــوزولامي (Musulames):

ذكرت أخبار الموزولامي في الكثير من النصوص الأدبية والوثائق الأثرية[2]، وذكر اسمها في أشكال مختلفة مثل موزولاني (Musulani) ومزولامي (Musulami)[3]، وتعتبر منطقة الأوراس موطنها الأصلي الذي يمتد شرقا إلى غاية وادي المثول (ملاق)[4]. أما مداوروش فهي إحدى عواصم هذه القبائل والتي كانت تشكل نقطة التقاء بين البدو والمستقرين[5].

لقد كان المزالمة يتشبهون بالجيتوليين في نمط معيشتهم ومقاومتهم للرومان [6]، زيادة على ما ورد ذكره في هذا السياق، فإن الخريطة البشرية للمغرب القديم كانت تزخر بعناصر أخرى من السكان الأهالي كقبائل الحلف الخماسي (Quinquegentiani) التي اشتهرت بمقاومتها العنيدة للاستعمار الروماني خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين والتي سوف نتطرق إليها لاحقا.

هذا عن الأهالي الريفيين والبدو. أما الحضريون منهم، فإن أخبارهم نادرة لأنهم تكيفوا مع الوضع الجديد محاولين الاستفادة من كل الفرص التي كانت الإدارة الرومانية تمنحها، بغية تكوين طبقة برجوازية تدعم نفوذها وتساعدهم في دحر الريفيين الذين يكونون مصدر قلق وتهديد لمصالحهم الاقتصادية والعسكرية[7]، وحول تلك المجموعات البشرية والقبائل (أنظر الخريطة رقم (1) ص.16).

(1) - Gascou, "Le cognomen Gaetulucus, en Afrique Romain", M.A.H.2, 1970, PP. 729-736 ; Tite- live, Histoire Romaine, trad, par Walter (G.), pleiade, Paris, 1968, XXIII, 18, 1.

(2) - S. Gsell, Atlasarcheologique de l'Algèrie, F. 18, N° 519.

(3) - Tacite, Annales, trad. Bornecque,Paris, 1956, II, 52 ; III, 20, 32, 73 ; IV, 23.

(4) - Leschi (L.), Etude d'epigraphie, P. 65.

(5) - Apulius, Apologia, XXV, 3.

(6) - Tacite, Op. Cit., II, 52 ; III, 20, 21, 73, 74, IV, 22, 24, 25.

(7) – محمد البشيرشنيتي، المرجع السابق، ص ص. 168-169.

الخريطة رقم : 01_ **أهم القبائل التي سكنت بلاد المغرب القديم في أواخر القرن 4 م**

المصدر : **Camps (G.), Aux origins de la barbarie, (Massinissa) : ou les débuts de l'histoire,Libyca,T. VIII,1960, Fig .27.**

الفصل الأول

الفصـــل الأول

أولا- أوضاع شمال إفريقيا قبيل مجيء الوندال

1. الأوضـــاع الاقتصاديـــة.
   أ. الزراعية
   ب. الصناعية
   ج. ضرب السكة
   د. التجارة
   هـ. الضرائب
2 - الأوضـــاع الاجتماعيـــة.
3- الأوضـــاع الدينيـــة.
   أ. قبل ظهور المسيحية
   ب. بعد ظهور المسيحية
   ج. تحالف الكنيسة مع السلطة
   د. الحركة الدوناتية
4- الأوضـــاع السياسية والعسكريـــة.
   أ. ثورة الريفيين

ثانيا- أفول نجم الدولة الرمانية

1.التفسيرات الطبيعية
2. التفسيرات الدينية
3 . التفسيرات الإقتصادية
4. التفسيرات السياسية

أولا- أوضاع شمال إفريقيا قبيل مجيئ الوندال

1- الأوضاع الاقتصادية:

اعتمادا على المصادر الكتابة والمادية، فإن الأزمة الإقتصادية في شمال افريقيا كانت قد تفاقمت وذلك ابتداء من أواخر القرن الثاني الميلادي[1]، ويعود ذلك إلى النظام الإقطاعي وما كان يترتب عليه من أساليب عديدة وفي مجالات كثيرة أثرت تأثيرا سلبيا على كل القطاعات الاقتصادية الأخرى[2].

أ- الزراعـــــة:

إذا كان جل المؤرخين قد اتفقوا على الدور الاقتصادي الهام الذي لعبته بلاد المغرب حينذاك في إنقاذ الإمبراطورية الرومانية من المأزق الاقتصادي، فإنه مما لاشك فيه أيضا هو أن الحاجات الغذائية الرومانية كانت وراء تكثيف النشاط الزراعي الذي كان بدوره وراء تنشيط التجارة والصناعة[3]. ولهذا تم تكريس الاحتلال عن طريق تغيير البنية الحضارية للمجتمع المغاربي القديم، لهذا اعتبرت الأرض من أولى الضروريات المستهدفة من قبل الإدارة الرومانية[4].

- إفتكاك الأرض:

لقد كان تدمير مدينة قرطاجة سنة 146 ق.م من بين الفرص التي أدت إلى منذ الإطاحة بقرطاجة عام 146 ق.م والتهافت على الأرض الزراعية الإفريقية وقد كان الهدف من ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى الرغبة في استثمار أرباب الرساميل الروماني للمزارع الكبرى[5]، فالإحصائيات قدرت عام 46 ق.م مجمل العناصر الرومانية في

---

(1) – شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج1، تونس، 1985، ص.ص. 270-271.

(2) – سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص. 530.

(3) – محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، بدون تاريخ، ص. 204.

(4) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 269.

(5) – نفسه، ص. 51.

الولاية الإفريقية بإثنتي عشر ألف شخص[1] كلهم يمارسون مهمة الإشراف على استغلال الأرض وجمع محاصيلها وتنظيم عمليات شحنها وتصديرها نحو الإمبراطورية الرومانية لتسويقها هناك، وهذا ما أدى إلى التسابق على حيازة أكبر قدر من المساحات الزراعية في إفريقيا، وهو ما أدى بدوره بالقبائل المحلية للمقاومة والوقوف في وجه هذا المد الروماني[2].

لقد كان مساحو الأرض (Agrimensores)[3] ينتزعون الأرض من الأهالي وبحد السيف بالاستعانة بجيش الإمبراطورية الرومانية ثم يقومون بتجزئتها إلى قطع متساوية كي يسهل عليهم توزيعها على المزارعين أو تأجيرها[4]، وهكذا فتحت الأراضي الإفريقية أمام الاستثمارات الرومانية بدون تحفظ وحرم منها الفرد المحلي الذي كان يعتبرها المصدر الأول والأساسي في حياته.

لم يقتصر أسلوب الدولة الرومانية في شمال افريقيا على نزع الأراضي عنوة فقط، بل قامت بترحيل القبائل التي تملك الأراضي الخصبة وطردها نحو الأقاليم السهبية الفقيرة[5]، إذا كان هذا هو حال القبائل المزارعة، فإن حال القبائل الممتهنة للرعي كان أسوء، حيث كانت طبيعة نمط معيشتها تحتم عليها التحرك بين الأقاليم السهبية والزراعية، طلبا للكلأ والماء. وهذا ما يضايق المؤسسات الاستعمارية الرومانية، لذلك عملت الدولة على الحد من حرية تنقلها من جهة، ودحرها نحو الجنوب بالقوة من جهة ثانية، وهذا ما حوّل البعض من أفراد تلك القبائل إلى يد عاملة

(1) - César, Guerre civile, I, 32, 2, Le Fzig (1951).

(2) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 52.

(3) – مساحو الأرض (Agrimensores) هم موظفون رومان كلفوا من طرف الدولة لإنجاز هذه العملية الشاقة والمتمثلة في إحصاء الأراضي الزراعية وتقسيمها إلى حصص متناسبة المساحة أو متكافئة القيمة، وذلك حتى يسهل توزيعها على المنتفعين الرومان أو تأجيرها، ومن ثم يتسنى للدولة مراقبتها وتحديد نصيبها من المحصول. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 55.

(4) – نفسه، ص. 52.

(5) - Gsell (S.), Joly (CH.), Khamissa, Mdaourouche, Announa, Alger, 1922, P. 6.

في الضيعات الكبرى، أو بالأحرى كعبيد، حيث شبه حالهم من طرف بعض المؤرخون بالهنود الحمر الأمريكيين أمام ضغط الوافدين الأوربيين عقب اكتشاف أمريكا[1].

إذا تتبعنا بتمّعن السياسة الزراعية الرومانية في بدايتها نلاحظ أنها تعتمد على زراعة القمح بالدرجة الأولى في كافة أراضي بلاد المغرب القديم[2]، لتتحول المجهودات ابتداء من القرن الثاني الميلادي إلى زراعة الأشجار التي يتصدرها الزيتون والكروم والتين[3]، كما تنامت كذلك تربية الخيول والأبقار واالخنازير.

كما بدأ أيضا الجمل يأخذ مكانه في الاقتصاد الريفي منذ أواخر القرن الثاني الميلادي[4].

ب- الصنـــاعـــــة:

إن سعة انتشار النشاط الفلاحي في بلاد المغرب القديم والمكانة المرموقة التي احتلها في العالم الروماني جعله يطغى ويحجب باقي الأنشطة الحرفية والتجارية الأخرى، المتمثلة في صناعة الأنسجة التي كانت قد أخذت شهرة بفضل استخدام الصباغة الأرجوانية[5].

أما الفخار، فقد كان إنتاجه وفير بحث بلغ درجة التصدير[6]. كما تمثلت الصناعة التحويلية في عصر الزيتون الذي انتشرت معاصره في مناطق عديدة في شمال إفريقيا، لدرجة أننا لا نكاد نجد منطقة تخلو منها بقايا معاصر الزيتون[7]. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على الازدهار الواسع الذي عرفته تلك المادة الأساسية

(1) - Picard (G.), La civilisation de l'Afrique Romaine, Paris, 1959, P. 66.

(2) - Picard (G .Ch.), La civilisation de l'Afrique romaine, Ed. Plon, Paris, 1959, P. 74.

(3) - Martin (J.P.), Op. Cit., P. 255.

(4) - Albertini (E.), L'Afrique romaine, P. 28.

(5) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 206.

(6) - Petit (P.), Histoire générale de l'empire romain, 3 Vol,. Ed. Du seuil, Paris, 1978, P. 120.

(7) - Camps Fabrer (H.), L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, Ed. IMP. Officiel, Alger, 1953, PP. 25-31

التي استخدمت في مختلف المجالات كالتغذية والإضاءة وصناعة الصابون والتدليك في الحمامات[1].

كما اهتم الأباطرة الرومان ببناء القلاع وتشييد المراكز العسكرية وتحصين الحدود، وكذا إقامة الطرق وكان ذلك وراء فتح العديد من المحاجر[2].

ج –ضـــرب السكـــة:

لم يعتن الرومان باستخراج المعادن، وذاك ما أدى إلى تناقص في ضرب السكة وما كان متوفرا كان يخلط بمعادن أخرى[3]، حيث استبدلت بالفضة والبرونز كما ظهرت فوضى في النظام النقدي، وأصبحت الدولة تسك الآلاف من قطع النقود ذات القيمة الفضية المنخفضة لتحل محل العملات القديمة بنفس قيمتها الشرائية[4]. وهكذا، فقدت العملة الرومانية أهميتها في التعامل التجاري، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار ارتفاعا باهظا، ونتج عن كل ذلك عجزا كبيرا في دفع الضرائب، فاضطرت الدولة إلى أخذها عينا، ولم تفلح كل المحاولات والاصلاحات الإدارية والمالية[5]. لهذا اقتصرت الصناعة على المواطنين الأثرياء الشغوفين بجمع التحف الثمينة[6].

د– التجـــــــارة:

ازدادت الحركة التجارية أهمية مع احتلال الرومان لبلاد المغرب القديم، فعملوا على تهيئة الظروف والوسائل التي تمكنهم من الاستغلال والتحكم في المنطقة أكثر، وعلى رأسها طرق المواصلات البرية والبحرية وبناء المستودعات والموانئ التي تسهل عملية التصدير[7]. وقد تمثلت الصادرات في الثروات المنجمية كالنحاس

---

(1) - Albertini (E.), Op. Cit., P. 59.

(2) - Martin (J.P.), Op. Cit., P. 255.

(3) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 271.

(4) – سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص. 531.

(5) – محمد البشير شنتي، المرجع السابق، ص. 271.

(6) – نفسه، ص. 272.

(7) - Salama (P.), Les voies romaines de l'Afrique du nord, Ed. IMP. Officielle, Alger, 1951, PP. 35-50.

والحديد، والنباتية كالحبوب والأخشاب، وكذا الحيوانات الموجهة للألعاب مثل: الفيلة والأسود والفهود والدببة، إضافة إلى الدواجن الإفريقية[1].

أما الواردات، فلم يول المؤرخون القدامى اهتماما بها، لكن يفهم من بقايا اللقى الأثرية أن أهم الواردات هي تلك المواد المصنعة خاصة منها الأواني الفخارية والمصابيح والخمور، وهذا ما تؤكده العديد من الجرار التي عثر عليها في الكثير من مناطق البلاد المغاربية[2].

يتضح مما سبق، أن اقتصاد بلاد المغرب الروماني حينذاك كان اقتصادا زراعيا، أما الصناعة فلم تلعب إلا دورا ثانويا بالمقارنة مع الزراعة، وكذا التجارة التي اعتمدت أساسا على تصدير المنتجات الزراعية التي تستفيد منها الإدارة الرومانية لتلبية متطلبات التواجد العسكري الروماني في المنطقة.

تجدر الملاحظة هنا، إلى أن إيجابيات ذلك التطور الزراعي والرخاء الاقتصادي لم يمنع من بروز آثار سلبية، تمثلت أساسا في تغليب الزراعة والعمران من جهة وتضرر الحيوانات البرية من جهة ثانية[3].

هـ-الضـــــرائـــب:

كان الرومان قد اخضعوا بلاد المغرب ابتداء من سقوط قرطاجة لنظام جبائي متعدد الوجوه. وانطلاقا من نص أبيانوس (Appianus, 95-165) حول الموضوع نستنتج أن الرومان كانوا قد أخضعوا الأرض والأشخاص لضريبة المهزومين.

فالرومان كانوا يعتبرون الأرض والبشر في عداد الغنائم التي يؤول ثمارها إلى شعب روما المنتصر[4]، وجمع الضرائب كانت من عند سكان الريف والحضر على السواء. كما أن أغلبية الضرائب كانت جماعية، فإذا تهرب شخص منها دفع قسطه

(1) - Lecoq (A.), Le commence de l'Afrique romaine, T. 12, 1932, PP. 339-343.

(2) - Lecoq (A.), Op. Cit., PP. 491-495.

(3) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 269.

(4) - Appianus Historia Romana, Edition (1879-81), Empire, P. 227.

زملاءه، وهذا الأسلوب أرغم الأفراد على مراقبة بعضهم البعض والوشاية بمن يريد الامتناع عن دفع ضريبته[1].

لقد كان الذين يقومون بجمع الضرائب هم موظفون مسؤولون أمام المجلس البلدي والحاكم العام، وتشير الوثائق إلى أن هؤلاء كانوا يتجاوزون صلاحياتهم فيجبرون الناس أحيانا على أداءات إضافية لصالحهم، كما أن الضرائب كانت تجمع بداية من شهر مارس وتستمر إلى غاية شهر جويلية، وإذا حدث تجاوز لتلك الفترة الزمنية من طرف الغارمين، فإن الجيش كان يتدخل لمصادرة أملاكهم أو معاقبتهم[2].

ضف إلى ذلك، فإن مهمة نقل الضرائب العينية إلى مراكز جمع الضرائب كانت ملقاة على كاهل الفلاحين أنفسهم، كما فرضت عليهم مسؤولية صيانتها وتعويض ما تلف أو ضاع منها أثناء النقل[3].

إن السلطة الرومانية كانت جد متشددة في معاقبة من يمتنع أو يتهرب من دفع الضرائب، إذ بلغت في عقوباتها إلى حد الأحكام بالموت[4].

لقد نتج عن ذلك النظام الجبائي المجحف آثار سلبية عديدة أهمها:

1- فكرة تحمل المسؤولية الجماعية في ميدان تسديد الضرائب وهو ما أدى إلى الميل التدريجي نحو مسؤولية الأقوياء على الضعفاء أي مسؤولية الملاك الكبار على المزارعين الصغار، ولهذا فمن الطبيعي أن يكون الفلاحون الصغار أكثر عرضة من غيرهم للأضرار التي تخلفها مختلف أنواع الضرائب.

2- التخلي عن العديد من الأراضي المحملة بالضرائب والتي حولتها الدولة بعد مصادرتها إلى ملاك كبار، وهذا ما أدى بالفلاحين إلى الفقر والحرمان[5].

---

(1) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 130.

(2) – نفسه، ص. 140.

(3) - Rmandon (R.), La crise de l'Empire Romaine, P.U.F; Paris, 1964, P . 112.

(4) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 143.

(5) – نفسه، ص. 145.

2- الأوضـــاع الاجتماعيـــة:

كانت البنية الاجتماعية لبلاد المور قائمة على الروابط القبلية المتمثلة في سلطة هرمية تعتلي قمتها أسرة ذات عصبية تشكل العائلة المالكة التي يحق لها توارث السلطة وممارسة السيادة على جميع القبائل والإمارات المنضوية تحت نظامها[1]، وهذا ما أخذ في حسبان الإدارة الرومانية في معاملتها لسكان المقاطعة، سواء كانوا داخل الحدود أو على التخوم، وذلك باعترافها للقبائل المورية بالاستقلال الذاتي من حيث النظم الداخلية والقوانين وكذا الأعراف المتعامل بها داخل القبيلة أو فيما بين القبائل والإمارات، واكتفت السلطة الرومانية بالسيطرة على قادة المور وأمرائهم مع الاعتراف لهم بسلطتهم على أقوامهم[2].

إلى جانب ذلك استغلت الإدارة الرومانية الأسر ذات النفوذ السياسي والمعنوي لدى السكان لتكون واسطة بينها وبين الأهالي، حتى لا يلجأ هؤلاء الآخرين إلى القيادات المستقلة عن إدارة روما فيحدث التمرد[3]، وهذا ما يؤكد بأن الإدارة الرومانية كانت متأكدة بأنه لا يمكن بسط نفوذها على قبائل متحركة عبر مجال جغرافي مترامي الأطراف دون استخدام ذوي الأمر والنهي منهم[4].

إن ما نستشفه من بعض المصادر والنقوش يظهر أن هناك قبائل متاخمة لليمس كانت كثيرة النشاط المعادي للرومان، وقد تمثلت في البوار والباقواط ومجموعة تحالفت ضد الرومان عددها خمسة سميت بقبائل الحلف الخماسي (quinquegentis)[5]، ومما لا شك فيه أن هؤلاء القبائل كانوا قد فرضوا حالة عدم الاستقرار داخل الإدارة الرومانية التي فشلت في محاولة استمالة أمراء البوار وإبرام

---

(1) - Camps (G.), Op. Cit., P. 117.

(2) - Carcopino (J.), Op. Cit., P. 177.

(3) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ج2، ص. 339.

(4) – نفسه، ص. 341.

(5) – قبائل الحلف الخماسي: هي اتحاد مجموعة من القبائل المورية تكونت بعد حدوث عدة معارك مع الرومان وقد كان على رأسها قائد يدعى فراكسان وهي قبائل لم يتم رومنتها. تقع مضاربها في المنطقة الجنوبية من النجود لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص. 245-247.

اتفاقيات سلم معهم[1]، غير أن بعض رؤساء القبائل ورغبة منهم في الاستئثار ببعض المناصب القبلية أو بعض الثروات الموروثة حدث بينهم خلاف، مثل ما كان بين أبناء نوبيل الذي ترك أملاك كثيرة وثروات طائلة، فاستغلت روما ذلك الوضع لتثير الفتن وتشجع التفرقة وتغدي التناحر[2]. وهكذا انتشرت الفوضى والثورات مثل ثورة فيرموس، وظهرت طموحات تحررية غذاهـــا الصراع الذي كـــان على أشده بين إتباع الكنيسة الرسمية، والدوناتيين[3]، والذي برز في شكل صراع اجتماعي ديني خلخل نفوذ السلطة الرومانية في أوساط المجتمع المدني، ونال من حرمتها عندما تحيزت للكنيسة الكاثوليكية واضطهدت أتباع الكنيسة الدوناتية[4]، وهو ما سنوضحه لاحقا في الفصول المقبلة[5].

وهكذا عجزت الإمبراطورية الرومانية عن الاحتفاظ بهيبتها داخل المقاطعات التي أنهكها ثقل الضرائب وكثرة المظالم، مما ترتب عنه عدة نتائج أهمها:

- تطلع الإمارات المورية إلى تحقيق المزيد من المكاسب الترابية أو الانفصال عن السلطة الرومانية.
- قابلية المجتمع المدني أو الريفي المتأثر بالمسيحية على التمرد على السلطة الرومانية لصالح الحركة الدوناتية التي كانت تستخدم جماعة الدوارين[6] كطلائع ثورية.

---

(1) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 347.

(2) - Camps (G.), Les bavars, peuples des mouritanies césariennes, PP. 257-358.

(3) – محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر، ص ص. 285-315.

(4) – الدوناتية: هي حركة ثورية اجتماعية أسسها الراهب دوناتوس ظهرت سنة 311م، وهي حركة دينية كانت في بدايتها عبارة عن انشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية وقامت ضد الاحتلال الروماني دولة وكنيسة، ومن أهم نتائجها تجاوز المقاومة العسكرية إلى النضال الديني والاجتماعي. لمزيد من المعلومات أنظر: شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، ص ص. 295-305.

(5) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق ،ص. 316.

(6) – الدوارون (Les Circoncellions): يعرفهم أوبطا الميلي بأنهم عبارة عن عصابات متمردة يتشكلون من مجموعة من الشباب يطوفون حول المزارع ومخازن الحبوب الرومانية ثم يمارسون عملية السلب والنهب، كما وصفهم=

- تنامي نفوذ الأمراء التابعين لروما من أولئك الذين أخذت تعتمد عليهم في الحفاظ على مصالحها أكثر من السابق[1].

تميز الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا بالصراع المتواصل بين أهالي المنطقة وحكام المقاطعات، بحيث لم تعرف المنطقة أثناءه الاستقرار والأمن على مدى القرون الأربعة التي استغرقها الوجود الروماني[2]. وقد تطلب ذلك الوجود استحكامات عسكرية فعالة لحماية المؤسسات المدنية، ورسم الحدود الفاصلة بين ما يقع تحت سلطة الإدارة الرومانية وما كان خارجها الذي اصطلح على تسميته بخط الليمس (Limes)[3].

كما كان من الأهداف العملية التكتيكية للعسكرية الرومانية أن توزعت وحداتها جغرافيا بغية تكريس الاحتلال الكلي[4]، الذي صار يتصف بأنه أكثر احتكاكا بأهل البلاد وأشد قسوة عليهم لدرجة أنه حد من حريتهم في الحركة والتنقل[5].

=كذلك بالصعاليك وقُطَاع الطرق. أما القديس أوغسطين فيرى بأنهم الجناح العسكري في الحركة الدوناتية الذي توجهه لضرب رجال الكنيسة الكاثوليكية والأثرياء الرومان ورجال السلطة في الولاية الإفريقية.

يبدو أن استعمال إسناد تلك الصفات للدوارين هي محاولة من الكاثوليك لتشويه سمعة أصحاب تلك الثورة (أي ثورة الريفيين) أمام الرأي العام الذي كان جلّه منحازا إليهم ذلك أنه كان يرى أن الخلاص مما يعانون منه سيكون على أيديهم.

وقد تواصل استعمال هذا المصطلح من طرف المؤرخين الغربيين المحدثين إلى درجة أنه أصبح مصطلحا تاريخيا تعرف به حركة الشباب الريفيين. لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، مجلة التراث، العدد 13، باتنة، 2005، ص ص. 15-19.

(1) - Kotula (Th.), Firmus, Fils de Nubel, Akademia Budapest, 1981, P. 143.

(2) – محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، الجزائر، ص. 118.

(3) – الليمس: هو المنظومة الدفاعية العسكرية التي أنشأتها الإدارة العسكرية الرومانية لتحصين المقاطعات القيصرية ومراقبة أهل الجهة الشمالية في نوميديا والعمل على زيادة التوسع نحو التخوم الجنوبية من جهة أخرى. ولمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، مطبعة عمار قرفي، باتنة، دت، ص ص. 81-89.

(4) - Albertini. (E.), Route frontière, Bulletin cinquantenaire de B.S.G.A.O., 1970, P. 238.

(5) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ج1، ص. 272.

من هذا المنطلق، نرى أن سياسة الإبعاد التي مارستها المؤسسة العسكرية والمدنية الرومانية في حق الأهالي صارت واضحة المعالم[1]، وبالتالي فالأعمال العسكرية المشار إليها كانت قد عملت على تغيير الخريطة الديموغرافية بتكثيف الاستيطان الروماني ومحاولة تغليب العنصر البشري الأجنبي وإبعاد السكان الأصليين عن مواطنهم وذويهم[2].

ولكي تضمن روما سيطرتها على بلاد المور بأقل تكلفة، أخذت في الحسبان التركيبة الاجتماعية السياسية التي كانت قائمة على الروابط القبلية المعبر عنها بالكونفيدراليات. لهذا كان من الضروري تنصيب أمراء القبائل على رأس موريتانيا.

إن طبيعة الحكم العسكري وما ترتب عنه من إجراءات قسرية على الأهالي أدت بالجميع إلى صفة السخرة، حيث تراكمت الأعباء والخدمات على الأفراد وشملت ميادين كثيرة، فتطورت الضرائب تدريجيا بتطور احتياجات الدولة خاصة في مجال إطعام الجيش وتجهيزه ودفع رواتبه[3].

كما أن حالة الطوارئ التي أعلنتها الإمبراطورية الرومانية في بلاد المور، لم تكن إجراءات طارئة استثنائية في الأوقات العصيبة بل اتخذت صفة الديمومة[4]، وهكذا تحولت الأعباء إلى صفة القاعدة القانونية التي ترتكز عليها السلطة المركزية والجهوية لإجبار الناس على ما لا طاقة لهم به[5].

ولتشديد الرقابة وزيادة التحكم في الوضع عهد الأباطرة الرومان إلى أسلوب ما يعرف في وقتنا الحاضر بالمخابرات العسكرية لكشف نوايا الناس وتحركات منافسيهم،

---

(1) - Rachet (M.), Rome et Berbère, 1970, P. 238.

(2) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ج1، ص. 282.

(3) - Gafé (J.), Les classes sociales dans l'empire Romaine, Paris, 1914, PP. 292-294.

(4) – م. روستوف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج1، ت. زكي علي، محمد سليم سالم، بدون تاريخ، ص. 533.

(5) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 30.

ولهذا ساد جو من الهلع والرعب المترتب عن ذلك الجهاز السري الخطير الذي لا يتورع أفراده في إلصاق التهم بأي فرد ولأدنى سبب خاصة إذا رفض لهم مطالبهم[1].

نتيجة لتلك الظروف، نمت العديد من الظواهر الاجتماعية الخطيرة مثل:

1- ظاهرة السطو والاختلاس التي مارسها الموظفون والجنود، والتي كان ضحيتها الأهالي الريفيين.

2- الحاق الأذى بالطبقة المحرومة من طرف الأثرياء وأهل السيادة الذين يتقاسمون المصالح المشتركة.

3- انتشار الأوبئة الفتاكة نتيجة سوء التغذية والأعمال المرهقة.

4- انتشار الصراعات الطبقية التي غذاها أفراد الجيش[2].

3- الأوضـــاع الدينيـــة:

أ- قبل ظهور المسيحية:

لاشك وإن خريطة المعتقدات الدينية بالمغرب الروماني، كانت قبل ظهور الديانة المسيحية معقدة ومتداخلة، حيث تعايشت في المغرب القديم عدة معتقدات متباينة في أصولها وطقوسها فكانت المعبودات كثيرة ومختلفة بين الناس[3]. ولقد تضمنت تلك الخريطة إلى جانب الديانة الوثنية الرومانية معتقدات شرقية بونية اعتنقها أفراد الطبقة الاجتماعية الدنيا في المدن والأرياف[4].

لقد كانت مجمل تلك المعتقدات المختلفة والتي كانت تتمحور حول فكرة واحدة هي، إيمان الناس بإله واحد أكبر من غيره، ولهذا يرى البعض من المؤرخين أنه كان

---

[1] – م. روستوف، المصدر السابق، ص. 535.

[2] – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 33.

[3] - Monceaux (P.), Histoire lettéraire de l'Africain chrétienne, Paris, 1901, PP. 28-29.

[4] – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 265.

لذلك التمحور دور في تسهيل مهمة المبشرين بالمسيحية، وهي دين يقوم في أساسه على التوحيد[1].

ب- بعد ظهور المسيحية:

أجمع أغلبية المؤرخين على دور التجارة والتجار الشرقيين في نقل الديانة المسيحية إلى المدن الساحلية الكبرى، كقرطاجة التي كانت ملتقى هاما للتجارة والتجار القادمين من مختلف أنحاء المدن وخاصة من المشرق، حيث كان معتنقوا الدين المسيحي يتكاثرون[2]. كما أتفق الكثير من المؤرخين كذلك على أن معابد اليهود (Synagogues) في المدن الإفريقية كانت أولى المراكز التي تبلورت فيها حركة التنصير وانطلقت منها[3]. لكن اليهود فيما بعد اختلفوا مع المسيحيين واتسمت العلاقة فيما بينهم بالعداء الشديد[4].

من جهة أخرى يلاحظ أنه لم يعثر المؤرخون أو الأثريون على أدلة كتابية أو مادية، تشير إلى تاريخ ما كان بداية لظهور حركة التنصير في المغرب القديم[5]، ولكن انتشارها مر بثلاثة مراحل أساسية، حيث تركزت في البداية في المدن الساحلية، ثم انتقلت خلال المرحلة الثانية إلى المدن الداخلية، أما أثناء المرحلة الأخيرة فقد تغلغلت في الأرياف[6].

لقد حضيت المسيحية في المغرب القديم وأثناء العهد الروماني بإقبال شديد خاصة من طرف أفراد الطبقة الاجتماعية الدنيا، والذين التمسوا في تعاليم المسيحية بغيتهم الروحية وطموحهم الاجتماعي، وهذا ما افتقدوه في الديانة الوثنية التي كرست نظام الطبقية والتفاضل بين بني الإنسان[7]. وهكذا صارت المسيحية ملاذا للنفوس ومحتوى فكري ونفسي يلجأ إليه مختلف طبقات المجتمع[8]. ولذلك تأسست الكنائس وتم

(1) - Leglay (M.), Saturne Africain, Paris, 1968, P. 487; Monceaux (P.), Op. Cit., P. 10.
(2) - Mesnage (J-M.), Le chrestianisme en Afrique Romain, Alger, 1914, P. 44.
(3) - Walting (P.), Tertulien, apologetyque, Paris, 1929, P. 10.
(4) – ابن خلدون، تاريخ العبر، مج2، دار الكتاب اللبناني، 1966، ص. 294.
(5) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 266.
(6) - Monceaux (P.), Op. Cit., P. 9.
(7) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق ، ص ص. 267-268.
(8) – محمد البشير شنيتي، الدوناتية وثورة الريفيين خلال القرن الرابع، مجلة الأصالة، عدد 60، 1978، ص. 26.

تنظيم النشاط الديني عن طريق أساقفة وكهان وشمامسة، وهي الرتب الثلاثة المعروفة في سلم الوظائف الكنسية[1].

بناءا على ما سبق يمكن حصر عوامل انتشار المسيحية في المغرب الروماني في العناصر التالية:

- ✓ الوضعية الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي كانت ضحيتها الطبقة الدنيا خاصة.
- ✓ الفراغ الروحي الذي حاولت الإمبراطورية الرومانية ملأه بعبادة الإمبراطور.
- ✓ المحتوى الإنساني الذي تضمنته المسيحية والذي يتمثل في الأخوة والعدل ثم المساواة.
- ✓ سلوك دعاة المسيحية الذين كانوا يترجمون تلك المبادئ السمحاء، وتركيزهم على التآخي في الله، والتضامن الإنساني والتآزر الاجتماعي.
- ✓ أصبحت المسيحية وسيلة يعبر بها الفرد عن موقفه اتجاه المؤسسة المدنية القائمة على القوة العسكرية والتمايز الطبقي[2].

ج- تحالف الكنيسة مع السلطة:

بعد انفراد الإمبراطور قسطنطين (Constantin) بعرش الإمبراطورية عام 324م، اتضحت الصبغة الدبلوماسية في التعامل مع الديانة المسيحية وبرز ذلك من خلال ما كان يردده قسطنطين: "ليمارس كل منكم العقيدة التي يفضلها"[3] وهو ما جعل الدارسين يلاحظون أن اعتناق الإمبراطور قسطنطين للديانة المسيحية كان يهدف إلى تحقيق أغراض سياسية عجز عن تحقيقها بالوسائل العسكرية، حيث صارت الكنيسة تشكل وسيلة قوية لجمع كل الرعايا المسيحيين وممارسة سلطة الإمبراطورية عليهم

(1) - Tertulianus, apol., 39, 5.

(2) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق ، ص. 273.

(3) – أندري إيمار، جانين أبوابي، تاريخ الحضارات العام، مج2، ترجمة فريد داغر، ص. 564.

عن طريق الكنيسة التي تحولت إلى جهاز إيديولوجي قوي التأثير يخدم المصالح العليا للإمبراطورية الرومانية[1].

ومن بين الأدلة الهامة والكثيرة التي يمكن أن نشير إليها هو ذلك الدور السياسي الكامن في تنصر الإمبراطور قسطنطين والمتمثل فيما يلي:

– طلبه من الكنيسة في إصدار فتوى في صورة قانون كنيسي تحرم الجنود المسيحيين الذين يتخلون عن سلاحهم أو يحجمون عن القتال، أي أن يتم إعلان الجندي الذي تنطبق عليه تلك المواصفة من طرف كنيسة المقاطعة التي ينتمي إليها بأنه كافر بالمسيحية[2].

لقد حول ذلك الأسلوب زعماء النصرانية من محايدين أو معارضين للسلطة الإمبراطورية إلى عناصر مؤيدة لها تضحي بمبادئها التاريخية تقربا للإمبراطور مقابل امتيازات متنوعة استفاد منها رجال الكنيسة دون غيرهم كمثل إعفائهم من أعمال السخرة وحق ممارسة السلطة القضائية داخل الكنيسة إلى غير ذلك من الامتيازات التي أسالت لعاب الكثير من الوثنيين الذين تسابقوا إلى اعتناق المسيحية[3].

إن النتيجة التي يمكن استخلاصها في هذا الصدد، هي وقوع الكنيسة تحت جناح الإمبراطور وهذا بدوره أدى إلى فقدانها لقيمتها المعنوية خاصة لدى الطبقة المحرومة التي كانت وقودا لنيران الاضطهاد من قبل، وهكذا انحرفت الكنيسة تدريجيا عن المبادئ النضالية وقاطعت ماضيها الحافل بالتضحيات، ومن هنا يحق للمتمسكين بالأصول المسيحية الأولى أن يناهضوا الكنيسة التي تخلت عنهم وعن طموحاتهم ويعارضوا سلوكها المتخاذل مع السلطة. وقد أدى ذلك التحالف بين الكنيسة والسلطة إلى الانشقاق بين المسيحيين الأفارقة في صورة حزبين دينيين: الأول حزب موالي للدولة وعلى رأسه الكنيسة الرسمية والثاني حزب معارض لهيمنة السلطة على الدين وعلى رأسه الكنيسة الدوناتية[4].

---

[1] – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق ، ص. 281.

[2] - Monceaux (P.), Op. Cit., PP; 22-23.

[3] – أندري إيمار، جنين أبوابي، المصدر السابق، ص. 564.

[4] – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق ، ص. 283.

د-الحركة الدوناتية Donatisme:

ظهرت الحركة الدوناتية علانية عام 305م وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أحد أعلامها الكبار وهو القائد دوناتوس (Donatus)[1].

يشار إلى الحركة الدوناتية في كتابات المؤرخين القدماء على أنها حركة دينية مناهضة للسلطة وللكنيسة المتواطئة معها، وقد برزت في صورة تيار ديني مستقل رفض جميع أشكال التعاون مع السلطة، ممتنعا عن الامتثال لأوامر الإمبراطور الذي استغل المسيحية لأغراض سياسية، وذلك بتفريغها من مضمونها الأخلاقي والاجتماعي. وبالتالي المحافظة على المبادئ الأصيلة التي تجمع حولها المتنصرون الأوائل وضحوا من أجلها[2].

حملت هذه الحركة راية الرفض للخضوع لإرادة الإمبراطور، ومقاومة أساقفة الكنيسة الذين رضوا بالانضواء تحت لواء الدولة وقبلوا شروطها، والتي تعتبر بالنسبة لهم نيلا شديدا من مبادئ المسيح وتحطيما لقوة المؤمنين المخلصين للنصرانية[3]. ومن هذا المنطلق يمكن أن نستنتج بأن للحركة الدوناتية خلفية ريفية جمعت جمهورا متذمرا لسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية[4]، الأ مر الذي جعل من هذه الإنجازات الدينية حركة معارضة سياسية تطالب بتحسين الوضع القائم[5].

لقد اتهمت هذه الحركة بإشاعة الفوضى وتهديد الأمن، وهذا ما تسبب في حدوث الكثير من المعارك، خاصة سنة 374م بين الكنيسة وجيش الإمبراطور المتحالفين ضد الدوناتية والثوار الريفيين الذين وجدوا في هذه الحركة منفذا للدفاع عن كينونتهم[6].

---

[1]– دونانوس: هو أحد القادة البارزين في المغرب القديم، قاد ثورات عديدة ضد الوندال ثم البزنطيين. كان متمردا نتيجة للفقر والمجاعة، درس الدين المسيحي ثم تدرج في المناصب المسيحية، قاد الحركة الدوناتية وحولها إلى حركة عسكرية، فاستطاع أن يقلص نفوذ المذهب الكاثوليكي الروماني في وقته، ولمزيد من المعلومات أنظر : ويكيبيدي الموسوعة الحرة.

[2] -Monceaux (P.), Op.Cit, IV, P.112.

[3] – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق ، ص ص. 285–288.

[4] – نفسه، ص. 295.

[5] - Monceaux (P.), « Léglise donatiste aux temps de S. Augustin », R. d'Histoire des Roli, 61, 1910, P. 20.

[6] - Pallu de Lessert, Faste des provinces Africaines sous la domination Romainne, Tome 2, Paris, 1901, P. 243.

وهكذا تحولت الحركة الدوناتية إلى عقيدة نضالية توارثت الأجيال اعتناقها والدفاع عنها، وصارت تشكل رصيدا روحيا ونضاليا وعنصرا حيويا من العناصر المكونة لشخصيتهم التاريخية المتميزة بالروح الاستقلالية والنزعة نحو التحرر من القيود الأجنبية[1].

4- الأوضاع السياسية والعسكرية:

بعد سقوط مدينة قرطاجة سنة 146 ق.م لم تهدأ المنطقة المغاربية في كلا الجانبين العسكري والسياسي، فمنذ هذا التاريخ والأوضاع في اضطراب متزايد ومستمر[2]، ومن بين الأمثلة على ذلك، ثورة الجيتوليين (الصحراويين) التي اندلعت في بداية القرن الأول الميلادي، ثم ثورة المزالمة (Les Musulames) بقيادة تاكفاريناس[3]، ومساعدة مازيبا في الأوراس التي ناصرتها القبائل الصحراوية، وامتد لهيبها حتى أوزيا (Auzia) سور الغزلان الحالية[4].

ورغم التحضيرات العديدة والحصون المتعددة ورغم كثرة الحاميات العسكرية التي كانت تهدف للوقوف في وجه كل القبائل الثائرة إلا أن الثورات استمرت متتالية إلى غاية دخول الوندال عبر مضيق جبل طارق[5].

---

(1) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص.ص 293-294.

(2) – محمد الصغير غانم، ثورة الريفيين الأوراسيين ضد الاستعمار الروماني، مجلة التراث، العدد 13، باتنة، الجزائر، 2005، ص. 9.

(3) – تاكفاريناس: هو قائد نوميدي عمل في الفرق الإضافية التابعة للجيش الروماني، لكن نجد إتقانه للفنون الحربية ومعرفته للنوايا الرومانية وإلى ما تريد الوصول إليه في المنطقة المغاربية والأسلوب الذي يتبعه الرومان في معاملتهم مع الأهالي المغاربة، فرمن الجيش الروماني وقاد قبائل المزالمة في ثورة عارمة ضد الاستعمار الروماني وكان سنه آنذاك لا يتجاوز 37 سنة. لمزيد من المعلومات أنظر: - Benabou (M.), Proconsul et légat en Afrique, le témoignage de Tacite, Ant-Afri., T. 6, 1972, PP. 126-129.

(4) – محمد الصغير غانم، بعض من ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول ميلادي (ثورة تاكفاريناس) حولية المؤرخ الجزائري، العدد 1، 2003، ص ص. 15-31.

(5) - Decret (F.), Fantar (M.), L'Afrique du nord dans l'antiquité, ed., Payot, Paris, 1981, PP. 141-169.

أ. ثورة الريفيين أو ثورة الدوارين (Les Circoncellions):

لقد شاع استعمال لفظ الدوارين بعدما استعمل أوبطة الميلي عبارة (**Circoncellions**) ويقصد بذلك الدوران حول المخازن[1] ، واستعمل هذا المصطلح لينعت به تلك الفئة بأنها متمردة تشكل عصابات تدور حول المزارع ومخازن الحبوب الرومانية ثم تمارس عملية السلب والنهب [2].

من جهة أخر درج القديس أوغسطين (ST. Augustain)[3] بعد ذلك على استعمال نفس التسمية، وكان يعني بها الجناح العسكري في الحركة الدوناتية الذي كان يستعمل لضرب رجال الكنيسة الكاثوليكية والأثرياء الرومان ورجال السلطة في الولاية الإفريقية[4]. إضافة إلى ذلك وردت الإشارة إلى ثورة الريفيين في وثيقة المحاكمة التي أصدرها الرومان ضدهم، وذلك في بداية القرن الخامس (412م) تحت اسم "الدوارين"[5] "Les Circoncellions".

كما أن المؤرخ "ج. برسيون" "Brisson J." بدوره يصف فئة الريفيين بأنهم عبارة عن فئة من الشباب الرّحل الذين كانوا يترددون على ضياع الأثرياء، بغية طلب

---

[1] – لقد استعمل أوبطة الميلي الذي يعد مجادلا كاثوليكيا هذا النعت أو هذه الصفة لفئة الشباب الثائرين في وجه الوجود الروماني وما يترتب عنه من الأساليب الاستعمارية لأن هذه الفئة انضمت لأعدائه الدوناتيين ولعبوا دورا حيويا في تصعيد حدة الخلاف بينهم وبين الكاثوليك. ولمزيد من التوضيح أنظر: محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص.ص. 301-304.

[2] - Saumagne (CH.), Ouvriers agricoles on radeurs de celliers , Les circoncellions d'Afrique, annales d'histoire économique et sociale, T. IV, 1934, PP. 352-353.

[3] – ولد القديس أوغسطين بتاغست (سوق أهراس حاليا) بتاريخ 13-11-354م من أب وثني وأم مسيحية، دخل المدرسة الابتدائية صغيرا ثم انتقل إلى معهد شهير بمداوروش، درس المحاماة دون أن يمارسها في قرطاجة أين أسس معهد لتدريس الخطابة ثم انتقل إلى ميلانو بروما، وهناك تعرف على أسقف مدينتها وعايش الكهنة الكاثوليك فترقى إلى درجة الكهنوتية، كتب اعترافاته في ثلاثة عشرة كتابا وألف كتابه الشهير (مدينة الله) قبل وفاته بتاريخ 28-08-430م شهد بكثير من الحزن والآلام دخول الوندال إلى مدينة هيبون عنابة حاليا. لمزيد من المعلومات أنظر: إعترافات القديس أوغسطين،ت. الخوري يوحنا الحلو، ط.الخامسة، دار المشرق، بيروت،1996 ، ص ص.1-6.

[4] – محمد الصغير غانم، ثورة الريفيين الأوراسيين ضد الاستعمار الروماني، مجلة التراث، العدد 13، باتنة، 2005، ص. 15.

[5] –محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص. 16.

العمل وعندما لم يعط لهم ذلك ينصرفون إلى الدوران والإلتفاف حول أهراء الحبوب ومزارع ملاك الأرض من الرومان والمترومنين من المغاربة، مستعملين أسلوب السلب والنهب للحصول على لقمة العيش التي سدت سبلها في وجوههم[1]. أما الثوار أتباع تلك الحركة، فكانوا يطلقون على أنفسهم اسم المصارعين أو المقاومين (Agonistici) أو جنود المسيح (Militéres christens) [2].

لقد اندلعت ثورة الريفيين في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي في السنوات ما بين 330 و340م، كما أنها لم تكن ذات هوية دينية بل انطلقت من معطيات أخرى كانت تهدف إلى تحقيق العديد من النتائج[3].

لقد سعت تلك الثورة ومنذ انطلاقها إلى تحقيق العديد من الأهداف أهمها:

1- الوقوف في وجه الظلم والاضطهاد الذي كان يعانيه أبناء الأرياف والعاملين في مزارع المعمرين الرومان بهدف التخلص من طغيانهم.

2- ضرب المؤسسات الإنتاجية التي تعد أساس المؤسسات الإدارية والعسكرية المتسببة في شقاء الريفيين.

ومما لاشك فيه، هو أن طبيعة الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية والأثرياء والسلطة من جهة. والدوناتيين والثوار الريفيين من جهة ثانية، تفرض التقارب والتحالف بين من يشتركون في عدو واحد.

إذن، فالتحالف بين الثوار الريفيين والدوناتية كان عفويا قادهما إلى أنشطة ثورية مكثفة كان أهمها وأكثرها ذلك الذي حدث سنة 347م[4].

يلاحظ أنه يمكننا أن نستنتج أن الوجود الروماني في بلاد المغرب القديم كان قد واجه العديد من الثورات المحلية التي امتزجت فيها الروح الدينية بروح التحرر،

(1) - Brisson (J.), Gloire et misere de l'Afrique Chretienne, Paris, 1919, PP. 338-341.
(2) - Monceaux (P.), Op. Cit., P. 43.
(3) - Cagnat (R.),L'armée Romaine d'Afrique, Paris, 1912, PP. 76-77.
(4) – تعد سنة 347م من أكثر السنوات بروزا في تاريخ الدوناتية وثورة الريفيين نظرا للأحداث التي تمت فيها التصادم بين الجيش الروماني الذي كان يتقدمه الأسقف الكاثوليكي ماكاريوس والمقاومين الدوناتيين بمعية الثوار الريفيين. لمزيد من الإيضاح أنظر: - ST. Augustin, Contra epis. Parm., I, XI, 18.

خاصة خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين ويعود السبب الرئيسي لتلك الثورات إلى الحرمان والتسلط الذي كان يعانيه السكان المحليون، ولهذا استمرت الثورات العديدة مثل ثورة فيرموس (Firmus) [1]، وغيرها إلى غاية انحطاط الإمبراطورية الرومانية ونهاية تواجدها بالمنطقة نهائيا[2].

ثانيا- أفول نجم الدولة الرومانية:

رغم أن زوال الإمبراطورية الرومانية لا يعتبر موضوعنا الأساسي في هذا البحث، إلا أنه لا يمكننا الخوض في تاريخ الوجود الوندالي في شمال إفريقيا وما تبعه من تحولات دون التطرق للمرحلة الأخيرة التي شهدت أفول نجم الإمبراطورية الرومانية، حيث عرف الوضع في شمال إفريقيا قبيل الغزو الوندالي أوضاعا مضطربة يغلب عليها التوتر السياسي الذي ميز الإمبراطورية الرومانية، التي آلت إلى السقوط بعد تراجع نفوذها يوما بعد يوم آخر.

ومنذ تلك الفترة والمؤرخين لا يكفون عن البحث والتقصي عن الأسباب التي أدت إلى سقوطها، فاختلفت الآراء حسب المناخ الفكري والسياسي الذي سيطر على العصر الذي عاش فيه كل مؤرخ، ومن ثم يمكن القول أنه توجد تفسيرات مختلفة ومتباينة ونظريات متنافرة، عالجت موضوع سقوط الإمبراطورية الرومانية، من زوايا متعددة طبيعية، دينية، واقتصادية[3].

---

[1] – ثورة فيرموس: هي ثورة كبرى معروفة في المصادر القديمة قام بها أمير موري يدعى فيرموس بن نوبيل Nubel فيما بين 371-375م وكان يهدف من ورائها تحرير البلاد من السيطرة الرومانية، تركزت الأعمال العسكرية فيها في المنطقة الممتدة من جبال البابور إلى إقليم زكار خاصة، استطاع فيرموس أن يجمع القبائل والفئات الاجتماعية المختلفة حوله ويلحق بالرومان هزائم منكرة. ولمزيد من المعلومات حول هذه الثورة أنظر: - Gsell (S.), « Observations géographiques sur la révolte de Firmus », R.S.A.C., Tome 27.

[2] – محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص. 25.

[3] - A.H.M. Jones, Thought on the decline of the roman empire, bulletin of the faculty of arts, Cairo university, Vol. xxx, part 1, 1961, P. 9.

1- التفسيرات الطبيعية:

هناك من الباحثين من يرجع تدهور الإمبراطورية الرومانية إلى تقلبات مناخية تولدت عنها نكبات أصابت المحاصيل الزراعية. في المرحلة الممتدة ما بين 200-400م. وهي الفترة التي تعرض فيها العالم القديم إلى مرحلة جفاف مريرة[1] نتج عنها مجاعات، أدت بدورها إلى نشوب ثورات بسبب تحرك العديد من القبائل البربرية من الجرمان[2] والقوط[3] بحثا عن الطعام وهي التي هاجمت الإمبراطورية من الغرب، حيث وضعت نهاية لها[4].

2- التفسيرات الدينية:

لقد تميز الوضع الديني بالتوتر بين الوثنية والمسيحية، حيث يرى متتبعي الفكر الديني الوثني أن المسيحية هي المسؤولة عن تردي الأحوال الاقتصادية، وأن سقوط روما كان بمثابة رد فعل لغضب الآلهة الوثنية التي صنعت روما وبنت عظمتها، ولهذا نجد زوسيميوس (Zosimius)[5] أحد كبار مؤرخي القرن الخامس ومؤلف موسوعة التاريخ الجديد يلقي اللوم على

---

(1) - Ellsworth hung ton, Climatic change and agricultural exhaustion as elements in the fall of home, Quarterly journal of economics, 1916, P. 22.

(2) -الجرمان: الجرمانيون (Germanie) أو التيتونيون (Teutonic)هم بشكل عام الشعوب والقبائل التي تتحدث باللغات الجرمانية، أستوطنوا المناطق المحاذية للإمبراطورية الرومانية، وكانوا مصدر إزعاج لها، وأصبحوا فيما بعد أحد الأسباب الرئيسية لسقوطها ، وتشكل الشعوب الجرمانية كالقوط والوندال وغيرهم، فرع إثني ولغوي من الشعوب، الهندو أوروبية، والتي يعود أصلها ومنشأها إلى أوروبا الشمالية، لمزيد من المعلومات انظر: Engel (F.), Sur l'histoire des anciens Germains, ed. sociales, Paris, 1976, P.15

(3) – القوط: قبائل ينتمون إلى الشعوب الجرمانية، ويعتقد أنهم يعودون في أصلهم إلى المناطق الإسكندنافية شمال أوروبا أو إلى منطقة الفيستول أي شمال بولونيا حاليا ومع بداية ق.3.م، اصطدمت هذه القبائل مع قوات الأمبراطورية الرومانية وهذا ما أدى إلى انقسامهم إلى قوط شرقيين وقوط غربيين، لمزيد من المعلومات أنظر: Engel (F.), OP.Cit, PP.100-109.

(4) - A.H.M. Jones, Op. Cit., P. 9.

(5) زوسيميوس: مؤرخ إغريقي عاش خلال القرن الخامس ولد 460 م كانت كل كتاباته تتطرق للفترة الأخيرة من سقوط الإمبراطورية الرومانية، له ستة كتب كان آخرها مختص في عوامل وأسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية، لمزيد من المعلومات أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: . WWW. Wikipedia.org.

الإمبراطور قسطنطنيوس (Constantinius)[1] الذي حكم الإمبراطورية الرومانية في الفترة الممتدة ما بين (338 – 361م)، بأنه المسؤول الأول عن ذلك السقوط، لأنه دحر الوثنية وأحل محلها المسيحية[2]، ولكن الرومان إبان عصورهم الوثنية كانوا قد لاقوا من الهزائم ما هو أقسى مما شاهدوه في العصر المسيحي، وهذا يعني أن لا ذنب للمسيحية في سقوط الإمبراطورية الرومانية. بينما يرى الأخلاقيون المسيحيون أن حكمة الله وحكومته ضد أي انحراف خاصة الأخلاقي منه، لذلك فسروا سقوط الإمبراطورية بأنه عقاب من الله نتيجة الخطايا والضلال والانحراف الذي كان يعيش فيه الرومان[3].

أما القديس أوغسطين (ST. Augustin) ، مؤلف كتاب مدينة الله، فقد ذهب بأن سقوط روما هو ناتج عن الإرادة الإلهية التي تدير الكون وتوجه مصائر البشرية حتى تنتصر مملكة الله الأبدية وهذا مصير كل الدول والبشر[4]. كما ينسب بعض من المؤرخين المعتدلين المصائب التي حلت بالرومان إلى انعدام الوازع الأخلاقي عندهم[5].

أما في الفترة الحديثة، فيرجع المؤرخون تفسيرات سقوط الإمبراطورية الرومانية إلى الطابع العقلاني الإلحادي الذي يتعارض وتعاليم الديانة المسيحية، في كثير من الأحيان. حيث يرون بأن التسلط العسكري الديكتاتوري قتل الفضائل التي كان يتحلى بها الرومان في القديم. لذلك جاءت المسيحية وأحبطت روحهم المعنوية، فأصبح

---

(1) قسطنطينيوس: ويدعى قسطنطينويس الثاني ولد سنة 317 وهو الإبن الثالث لقسطنطين الأول، تقاسم الحكم مع أخويه في الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية وخاض معارك طويلة مع الفرس، وبعد وصوله إلى الحكم سنة 338 وانفراده بالسلطة على الإمبراطورية الرومانية كانت له العديد من التغييرات خاصة في المجال الديني، ولهذا يلومه الكثير ويجعله المتسبب الرئيسي في انحطاط الإمبراطورية الرومانية، لمزيد من المعلومات انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: . WWW. Wikipedia.org.

(2) – سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط3، القاهرة، 1998، ص. 662 .

(3) – عبد القادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية، ص ص. 13–27.

(4) - ST. Augustin, The city of God, translated and abridged by G. Walsh and others, New York, 1958, PP. 16-29.

(5) – سيد أحمد علي ناصري، المرجع السابق، ص. 663.

الشعب الروماني شعبا سلبيا انهزاميا، كما أن الرهبنة والكنيسة جذبت إليها الآلاف من أبناء الرومان القادرين على العمل في وقت كانت فيه الدولة في حاجة ماسة إلى طاقتهم، كما أن الصراعات الطائفية المسيحية هي المسؤولة على تفكيك الوحدة الوطنية وهي التي أدت إلى انقسام الإمبراطورية وتفككها[1].

3- التفسيرات الاقتصادية:

يذهب مؤيدو التفسيرات الاقتصادية إلى أن سقوط الإمبراطورية الرومانية قد يعود إلى الإفلاس الزراعي الناتج عن إنهاك التربة وإهمال الحكومة لمشاريع تحسين الزراعة مثل الري[2]، وقلة الإنتاج وزيادة التكاليف والضرائب... إلخ، مما شجع الناس على ترك المزارع فتحولت بذلك إلى مراعي[3]، ضف إلى ذلك تفاقم خطر الأوبئة التي راح ضحيتها الآلاف من سكان الريف، مما نتج عنه النقص الشديد في الأيدي العاملة خاصة العبيد الذين يشكلون الطاقة الأساسية في العمل الزراعي[4].

يمكن أن تشكل تلك الأسباب المشار إليها مجتمعة البعض من الحقائق التي يمكن اعتبارها قد ساهمت في سقوط الإمبراطورية الرومانية لكن ليس كلها، لأنه بالفعل حدثت تلك الاضطرابات، لكن حكومة الإمبراطورية الرومانية اتخذت إجراءات معالجة، من بينها الإعفاء الضريبي للمعمرين الجدد للأراضي المهجورة، كما أن التدهور في ميدان الزراعة لم يلحق بكل ولايات الإمبراطورية الرومانية، مثل بلاد الغال[5] التي بقيت زراعتها مزدهرة خلال القرن الخامس الميلادي[6].

لقد كان للإدارة نصيب في تردي الأوضاع الاقتصادية الرومانية، ذلك أن أصحاب الإقطاعيات الكبرى (Latifundia) كانوا قد تركوا زمام الإدارة إلى وكلائهم

---

(1) – سيد أحمد علي ناصري، المرجع السابق، ص. 665.

(2) - Baynes (N.), The decline of the roman empire in western Europe, jour of roman studies, 1943, P.18.

(3) - A.H.M. Jones, Op. Cit., P. 11.

(4) - André Peganol, L'empire Chrétien, Paris, 1947, P. 408.

(5) – بلاد الغال بالفرنسية Gaule، باللاتينية Gallia، هو الاسم الذي أطلقه الرومان على المنطقة التي سكنها الغاليون وهم شعوب سلتية، كانت تمتد على شمال إيطاليا وفرنسا وبلجيكا.

(6) – سيد أحمد علي ناصري، المرجع السابق، ص. 665.

وبقوا في المدن يعيشون من مداخيلها، فكانت النتيجة أن هؤلاء الوكلاء كانوا قد أهملوا الزراعة فتناقصت تلك المداخيل[1].

يضاف إلى ذلك، الحروب الأهلية وأعمال التمرد التي قام بها العديد من الجنرالات الرومان ومحاولة الانفصال والاكتفاء بمقاطعاتهم، وذلك ما أدى إلى عودة النظام الاقتصادي البدائي[2]. إلى جانب تدهور مركز روما التجاري الدولي بسبب فقدان السيطرة على الطرق التجارية الدولية نتيجة ظهور الفرس كقوة جديدة في الخليج العربي والشرق الأدنى القديم اللذين أغرقا الإمبراطورية في حروب باهظة ومكلفة أدت إلى رفع الضرائب من أجل تعويض نفقات تلك الحروب. وهو ما زاد في تدهور الاقتصاد[3].

كما أن تعطل الدولة الرومانية في إدارة تسيير اقتصادها ساهم في هذا الوضع المزري عندما حاولت التدخل في المشروعات وقامت بدور الرأسمالي المستغل الذي يجند الفلاحين إجباريا ويستغلهم شر استغلال ويفرض الضرائب الباهظة عليهم، مما أدى إلى الهروب الجماعي أو تسليم أراضيهم إلى الإقطاعيين الذين كان معظمهم لا يدفعون الضرائب نظرا لمراكزهم الاجتماعية العالية.

وبالرغم من أن الإمبراطورية حاولت في أيامها الأخيرة تحقيق قبضتها على الاقتصاد ووقف زحف الإقطاع، إلا أن عدم الاستقرار المتمثل في هجوم البربر الجرمان والقوط على حدود الإمبراطورية في الغرب وفي البلقان[4] حال دون ذلك[5].

إذا كان هذا هو حال الفلاحة، فالصناعة في الإمبراطورية الرومانية كانت لا تكاد تذكر، الأصواف مثلا كانت تغزل بالمغزل اليدوي وتنسج يدويا، لدرجة أن نسيج ثوب واحد كان يستغرق مجهود شهر من العمل الشاق.

---

(1) – سيد أحمد علي ناصري، المرجع السابق ، ص. 666.

(2) - André Peganol, OP. Cit., P. 410.

(3) - Walbank (F.), The decline of the roman empire in the west, New York, 1935, PP. 3-5.

(4) – البلقان: هي منطقة تاريخية جغرفية تقع في الجزء الجنوبي الشرقي لقارة أوروبا مساحتها حوالي 72800كلم^2 اشتق اسم المنطقة من سلسلة جبال البلقان التي تمتد من أواسط بلغاريا حتى شرق الجمهورية الصربية، لمزيد من المعلومات أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: WWW. Wikipedia.org.

(5) - André Peganol, Op. Cit., PP. 411-421.

وعلى العموم، فإن بدائية طرق الإنتاج كانت هي التي أدت إلى خراب اقتصاد الإمبراطورية الرومانية[1].

ويذهب فريق آخر من الاقتصاديين إلى أن السبب يعود إلى التجارة الدولية التي لم تكن لصالح الاقتصاد الروماني، لأنها كانت تجارة كماليات مثل: العاج والحرير والتوابل والعطور... إلخ.

وفي المقابل، لم تكن روما تصدر منتجات صناعية ولم تشجع الصناعة التي كان الرومان يحتقرونها[2]، كما أن السلطات حرمت على الرومان توظيف أموالهم في التجارة التي اعتبروها من شيم العبيد، وليست من شيم الأحرار، ومن ثم كان عليها أن تدفع ثمن تلك الكماليات ذهبا وفضة، وهذا ما أدى إلى استنزاف المعادن وتقليص العملة بتخفيض نسبة الذهب والفضة فيـــها[3].

4 – التفسيرات السياسية:

لاشك في أن عدم الاستقرار السياسي، وما واكبه من مقالب النظم الاجتماعية للإمبراطورية ومؤسساتها الثقافية، أضعفها وهددها ثم عرضها للدمار الشامل[4]. فقد بدأ عدم الاستقرار السياسي منذ مقتل الإمبراطـــور كـــراكلا (Caracalla) سنة 217م[5]، عندما بدأت سلسلة من الاغتيالات فلم يعد هناك نظام معين لاختيار الأباطرة، ولم يعد لمجلس السيناتو أي دور في ذلك، ولعب قادة الفرق العسكرية في ولايات الإمبراطورية دورا كبيرا في تعيين وعزل الأباطرة، فشاع بذلك صيت الحروب الأهلية[6]. والمتتبع لتاريخ الإمبراطورية خلال الخمسين سنة السابقة لحكم الإمبراطور دقليانوس أي خلال الفترة ما بين 235–285م، يلاحظ أنه توالى على العرش أكثر من

(1) - Walbank (F.), Op. Cit., P. 7.

(2) - Stroyenaud (J.) and Munro (D.), The middle ages, 395-1500, New York, 1942, PP. 6-7.

(3) - Iness Millar, The spice trad of the Roman Empire, 29 BG to 641 AD, Oxford, 1969, PP. 227-241.

(4) – حسين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط7، 2000، ص. 13.

(5) – جلس على عرش الإمبراطورية الرومانية عام 211م كركلا الذي يعد أكبر أبناء الإمبراطور سيفيروس ومعه أخوه جيث الذي كان يصغره سنا كشريك له في حكم الدولة الرومانية، لكن كركلا أصدر أمرا بقتل أخيه ليستأثر بالحكم لوحده، ويشاع انه قتل 20 ألف شخص آخرين من الذين احتجوا على فعلته تلك المتمثلة في قتل أخيه.

(6) – علي الغمراوي، مدخل إلى دراسات التاريخ الأوروبي الوسيط، بدون طبعة ولا تاريخ، ص. 169.

26 إمبراطورا اغتيل معظمهم قبل الوصول إلى العرش، وكان المنهزمون من هؤلاء المتوالين على الحكم يلقبون بالطغاة، والمنتصرون بالأباطرة، وكان المنتصر دائما يستأصل معارضيه ومناوئيه، كما كان معظم المتنازعين للوصول إلى عرش الإمبراطورية من خيرة القادة العسكريين وأكفئهم[1].

يتضح لنا مما تقدم، أن الإمبراطورية الرومانية بعدما سيطرت على كامل البحر المتوسط خلال القرن الثاني الميلادي، واجهت خلال القرن الموالي ثلاثة أزمات تمخض عنها غزو الوندال وسيطرتهم على جزء كبير من الأراضي التي احتلتها روما خلال ما يقارب الخمسة قرون. وهذه الأزمات هي:

-عدم الاستقرار السياسي والاضطراب الاقتصادي الذي تعرضت له الإمبراطورية الرومانية.

- قصور الوثنية وعدم قدرتها على ملأ حاجات الناس النفسية وغيرها.

- غارات القبائل الجرمانية والفرس[2].

وفي الأخير يمكننا استنتاج أن بداية القرن الثاني الميلادي عرفت فيه الإمبراطورية الرومانية أزمة إقتصادية، كان المغرب القديم يشكل مخرجا لها وذلك عن طريق تكثيف الزراعة التي بدورها تؤدي إلى تطور الصناعة والتجارة.وهذا ما كان يفرض افتكاك الأرض من أصحابها ومنحها للعنصر الروماني الوافد، كما لم يفلت من هذا الأسلوب مربي المواشي المتنقلين الذين عانوا المضايقات والحصار الروماني والذي بدوره فرض عليهم التراجع إلى المناطق الجنوبية الجافة.

رغم اعتناء الرومان ببعض الجوانب الصناعية، إلا أنهم لم يهتمو كثيرا بالمعادن، حيث بقي تركيزهم على تصنيع المنتوجات الزراعية وعلى رأسها الزيتون الذي يعد المادة الخام الأولى للعديد من معاصر الزيتون التي انتشرت وبشكل كبير في

---

[1] – سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص. 169.

[2] – حسين محمد ربيع، المرجع السابق، ص. 12.

بلاد المغرب القديم ويعرف ذلك من خلال بقاياها المتناثرة في المنطقة، كما أن عدم اهتمام الرومان باستخراج المعادن أثر على ضرب السكة التي كانت قيمتها تتناقص يوما بعد آخر . وهذا الوضع نشط العملية التجارية ولا سيما في مجال الصادرات، وهو ما يؤكد اعتماد روما على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط في عملية التموين والتمويل الذي كان يعتم على الضرائب التي انتشرت وتنوعت بشكل كبير.

لقد أثر الوضع الإقتصادي على الجانب الإجتماعي بشكل واضح ومباشر، حيث صار الفرد المحلي عبارة عن وسيلة استغلال لتلبية حاجيات الفرد الروماني، فنتج عن تلك العلاقة الإستغلالية تنافر وعدواة بين الطرفين أدت بالمستغل إلى التمرد والبحث عن الإستقلال.

كما لم يفلت الوضع الديني الذي ظهرت به هو الآخر إضطرابات واضحة برزت في ذلك الصراع بين الوثنية والمسيحية، التي أرادت أن يكون لها مكانة في المعتقدات المحلية. وتقبل المسيحية في البداية من العنصر المحلي لم يكن سوى بحثا عن بديل للوثنية التي لم تلب الضروريات الروحية للفرد المغاربي ولم تعط مخرجا للتسلط الذي كان يعانيه، لكن بعد تحالف الكنيسة المسيحية مع السلطة، خابت آمالهم فظهرت الحركات الدينية المعارضة، وبدأ التمرد الذي أدى إلى الإصطدامات العسكرية بين المحليين والغزاة الرومان.

لقد اجتمعت تلك الأوضاع بما فسره الكثير من المؤرخين حول سقوط وانهيار الإمبراطورية الرومانية والذين لخصوه في العديد من الأسباب السياسية والإقتصادية ثم الطبيعية والدينية.

الفصل الثاني

الفصـــل الثاني

الغزو الوندالي لشمال إفريقيا وأسبابه

أولا- التعريف بالوندال.

ثانيا- أسباب الغزو الوندالي لشمال إفريقيا.

1. في الجانب الأوروبي.

2. في الجانب الإفريقي.

ثالثا- مسار الغزو الوندالي

1. في الجزء الأوروبي.

2. في الجزء الإفريقي

أولا- التعريف بالوندال:

شاع مصطلح الوندال في كثير من اللغات الأوربية الحديثة، لدرجة أنه اشتق منه الاسم الموصوف بالوندالية (Le vandalisme) الذي صار يعني التدمير الوحشي[1] وبذلك، فالكلمة صارت مرتبطة بالهدم والتخريب والإتلاف والعدوانية بغباوة، زفي هذا الصدد يرى المؤرخ "شارل أندري جليان" أن الوندالية التي ترمز إلى الأعمال الوحشية بصفة عامة هي مجرد أسطورة رغم ما ارتكبه الوندال من أعمال فضيعة[2].

إلا أن كورتـــوا (Ch.Courtois)[3]، واعتمـــادا على علم أسمـــاء المواقـــع (La Toponymie)، فإنه يذكر أن اسم الوندال مشتق من اسم قرية سويدية في أوبلاند تدعى فاندال (Vendel) وأنها هي موطنهم الأصلي[4].

ومن جهته، يذكر محمد البشير شنيتي اعتمادا على ما ذكره المؤرخ الروماني بلين القديم (Pline l'ancien) في كتابه التاريخ الطبيعي المجلد الرابع واصفا الوندال بأنهم قوم جرمان جاوروا الحدود الرومانية الشمالية الممتدة بين نهري الراين والدانوب خلال القرن الرابع قبل الميلاد في شكل أحلاف، ويعود أصلهم إلى بلاد اسكندنافيا التي غادروها أواخر الألف الأولى قبل الميلاد نحو جنوبي بحر البلطيق، حيث استقروا بألمانيا[5].

إنه لمن الصعوبة معرفة الموطن الأصلي للوندال، وذلك يرجع لتضارب الروايات وآراء المؤرخين حول هذا الموضوع، وكل ما يمكن أن نستشفه من الروايات

---

(1) - Gautier (EF.), Génsric roi des vandales, Paris, 1935, P.7.

(2) – شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص. 322.

(3) – كريستيان كورتوا: ولد في كونياك (Cognac) بفرنسا في 1912/07/20 تربى في عائلة أرادت له مستقبلا تجاريا، تحصل على البكالوريا سنة 1930، درس التاريخ وتحصل على شهادة لسانس سنة 1933 من جامعة السوريون أين درس على يد أساتذة لا معين مثل كاركوبينو (J. Carcopino)، ثم عين أستاذا بطلب منه في ثانوية بالجزائر سنة 1953، نصب بعضها معيدا بكلية الآداب سنة 1954 ليدرس تاريخ العصور الوسطى، وفي عام 1955 ناقش مذكراته التي من بينها " الوندال وإفريقيا "، توفي سنة 1956.

(4) - Courtois (Ch.), Les Vandales et l'Afrique, Ed . Arts et Métiers graphiques, Paris, 1955, PP. 15-16.

(5) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 374.

الأربعة التي تطرق لها كريستيان كورتوا في كتابه "الوندال وإفريقيا"، هو أن تلك العناصر البشرية كانت قد انحدرت من السلالات النوردية الشمالية[1].

على العموم، لا يمكن الاعتماد كلية على الروايات الآنفة الذكر وذلك نظرا لتناولها فترة متأخرة من تاريخ الوندال.

أما الدراسات اللغوية، فتشير إلى أن الوندال أقرب إلى الدانماركيين منهم إلى السويديين[2]. وإن معلوماتنا الحالية لا تسمح للباحثين بإثبات الأصل الاسكندينافي للوندال، كما أن تاريخهم كان قد بدأ في الوقت الذي سمحت فيه الدلائل الأدبية بتحديد موقعهم في سهول أودر (Oder)[3] وفستول (Vestule)[4] العليا. ففي أوائل عصر البرونز –حوالي1800ق.م كانت الشعوب الجرمانية تحتل فقط الجزء الساحلي من البلطيق، وانتشرت فيما بعد على ضفاف نهري الدانوب والراين حتى وصلت إلى بلاد الكلت، بينما نجد تلك الشعوب في العصر البرونزي الثاني – ما بين 1350–1200ق.م – في أوروبا الوسطى، وخاصة في الألب وأودر وفيستول، حيث عثر بعض الباحثين في تلك المناطق على بقايا حضارة تعود إلى عصر الحديد، إلا أنهم لم يتبينوا انتماءات أصحابها هل هم الجرمان؟ أو الكلت؟ المهم أنها حضارة لا جرمانية ولا كلتية،

(1) - Courtois (Ch.), Op. Cit., PP. 17-18.

(2) - Idem, P. 19.

(3) – أودر: هو نهر في أوروبا الوسطى طوله 854 كلم، ويصب في نهر البلطيق بعدما يقطع كل من تشيكوسلوفاكيا بـ 112 كلم وبولونيا بـ 748 م وألمانيا بـ 187 كلم ويعد الحدود الطبيعية الفاصلة بين ألمانيا وبولونيا، كما أنه يشكل ثاني أطول نهر بعد نهر الفيستول في بولونيا. لمزيد من المعلومات أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة : WWW. Wikipedia.org.

(4) الفستول: هو النهر الرئيسي في بولونيا حاليا، ينطلق من أعالي سيليزيا على ارتفاع 1106 متر، ويقطع 1047 كلم، مارا بإحدى عشر مدينة ليصب في بحر البلطيق، وتعرف المناطق المجاورة لهذا النهر بسهول الفيستول الواسعة والخصبة جدا. لمزيد من المعلومات أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: WWW. Wikipedia.org.

فهي حضارة وندالية محضة، حيث سبقت الوندال إلى تلك المنطقة قبائل الجرمان الشرقية، ومن بعدهم جاء اللمبارد[1] والقوط[2].

يكاد يحدث إجماع بين المؤرخين على إقامة الوندال في منطقة أودر وفيستول قبل أن تأتي الغزوات الاسكندينافية من القسم الشمالي لجرمانيا، والتي دفعت الوندال إلى الجنوب[3]. وفي النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي (167م). اتجه الوندال إلى إقليم داشيا واستقروا على ضفاف نهري الراين والدانوب[4]. وذلك قبل أن يتعرضوا لضربات القوط (290م) الذين دفعوهم بدورهم إلى الاستقرار بين نهري ثيس (Theiss) وماروش (Marosh) في إقليم ترانسلفانيا الذي ينحصر بين هذين النهرين[5]. أنظر خريطة رقم 2، ص48.

لقد وجد الوندال في أواخر القرن الرابع (392م) في إقليم بانونيا الذي يقع في غاليا أي فرنسا حاليا[6]، وفي أواخر القرن الخامس وبعد انهزامهم أمام الفرنجة[7] (409م) في غاليا تسللوا إلى إسبانيا، وأمام عجز الإمبراطور هونوريوس في الدفاع عن إمبراطوريته انتشر الوندال في شتى أرجاء إسبانيا، وبعد صراع طويل مع

---

(1) اللومبارديون: شعب جرماني أصله من شمال أوروبا يقال أن موطنهم الأصلي إسكندنافيا، وأخرون يرون أن موطنهم الأصلي شمال ألمانيا، استقرو في واد نهر الدانوب وبعدها أسسو مملكة إيطاليا بعدما احتلوا معظم الجزء الشمالي لإمبراطورية الرومانية، ولمزيد من المعلومات أنظر : ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. WWW. Wikipedia.org.

(2) - Courtois (Ch.), Op. Cit., PP. 19-20.

(3) - Schmith (L.), Op .Cit., PP. 21-22.

(4) - Anoski (J.), Histoire de la domination des Vandales en Afrique, Ed. Fermin Didot, Paris, P. 4.

(5) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 20.

(6) - Avezac (D.), Histoire et description de l'Afrique, Ed. STE, Géographique, Paris, 1951, P. 4.

(7) الفرنجة: أو الإفرنج هم مجموعة قلئل جرمانية غربية والتي كانت قد شكلت ما يعرف باسم تحالف القبائل الجرمانية والمتكونة من : السيليان، السيكامبري، التشامافي، التشاتي، البروكتيري، البوسيبيتس، الأميرسيفاري، ودخل الإفرنج مناطق الإمبراطورية الرومانية من خلال مل يعرف الآن بألمانيا، واستوطنوا المناطق لشمالية من بلاد الغال (فرنسا حاليا وأجزاء من غرب ألمانيا) مكونين فيها إمارة شبه مستقلة، ولمزيد من المعلومات أنظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

الرومان في المنطقة دام إلى غاية 422م هاجموا جزر البليار[1] سنة 425م، ثم سواحل موريطانيا سنة 428م[2]. أنظر خريطة رقم 3، ص.49 .

[1] جزر البليار: هي جزر تقع في الجنوب الشرقي لإسبانيا في البحر الأبيض المتوسط، أكبر جزيرة بها هي جزيرة "ميروفا" في جنوبها الغربي توجد عاصمة هذه الجزر التي تدعى "بالمادي مايوركا" ولمزيد من الإيضاح : أنظر ويكبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

[2] - Foriel (M.), Histoire de la Gaude méridionale sous la domination des conquérants germains, Vol.4, Ed. Polin, Paris, 1836, PP. 153-179.

تدرج التوسع الوندالي في مراحله الأولى

الهجرات الأولى

الغزو الوندالي عام 406 م

الخريطة رقم : 02 الوندال في أوروبا سنة 406 م

المصدر : Courtois (Ch.), op.cit, P.30.

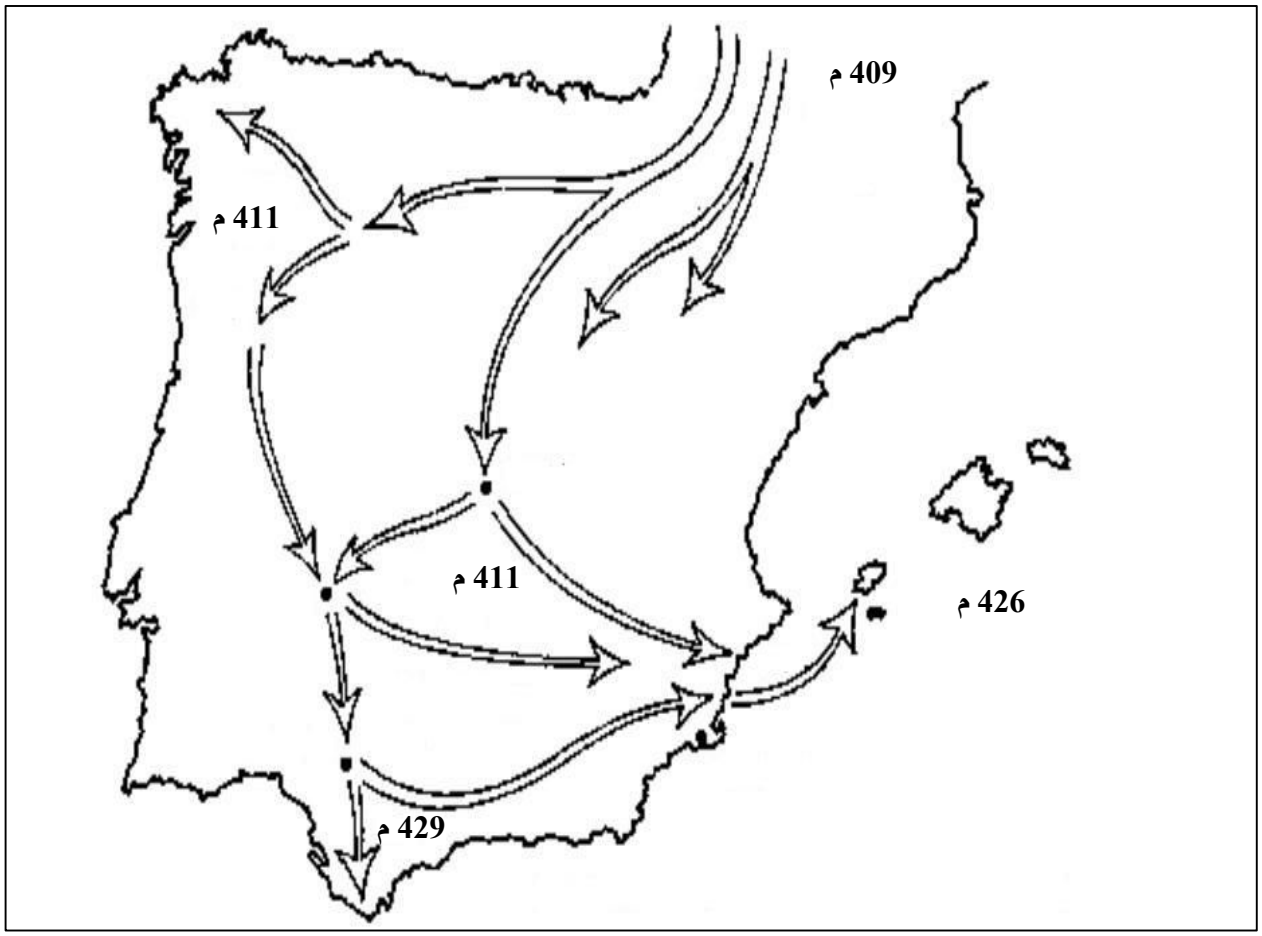

الشخريطة رقم : 03 التواجد الوندالي في إسبانيا 409 ــ 429 م

المصدر: انجاز خاص.

نستنتج مما سبق، أنه على مات يبدوا أن من بين المصادر التي تناولت الوندال وأصولهم وهجراتهم، هم الجرمان الذين جاوروا الحدود الرومانية الشمالية بين نهري الراين والدانوب خلال القرن الرابع الميلادي، وكانوا في شكل أحلاف بعدما غادروا اسكندنافيا التي يمكن اعتبارها موطنهم الأصلي[1].

أما من حيث المواصفات الاجتماعية، فقد ذكر الكتّاب الرومانيين أمثال بلين وتاسيت[2] (Tacite) أنهم ينتمون إلى جذمين كبيرين أحدهما يوصف بالتمنطق بالحمائل (أحزمة عريضة)، ويدعى قومه بالسيلينغ[3] والآخر عرف أفراده بترك شعر الرأس ينمو ويسدل كالنسوة وهم الهاسدينغ[4]، وكلهم يعتنقون المسيحية على المذهب الآريوسي بحكم الجوار[5].

(1) - Bury (J.), Op. Cit., P. 95.

(2) تاسيت (Tacit): (54- 117 م) إسمه الكامل(Publius Cornelius Tacitus) ينحدر من طبقة اجتماعية نشطة في المجتمع الروماني وهي طبقة الفرسان، ولهذا كان أحد الفرسان البارزين، كما كان من ال معارضية الأشداء لعدة أباطرة رومان في عهده. صار مؤرخا هاما متأثرا ببعض أصدقائهم مثل بلين الصغير وتراجان، وكان مهتم جدا بما يحدث في محيط الإمبراطورية، له عدة كتب تتطرق لفترة هامة من التاريخ الروماني، وأهم ما يمكن ذكره فيما يخص كتاباته خاصية التشاؤم التي ميزت أسلوبه. ولمزيد من المعلومات أنظر : ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

(3) السيلينغ : هم إحدى القبيلتين الأساسيتين المكونتين للشعب الوندالي عاشوا في ماجينا، وهي المنطقة التي سميت فيما بعد بسيليزيا، وأهم ما كان يميزهم الأحزمة العريضة التي كانوا يربطون أصلابهم بها. لمزيد من المعلومات أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

(4) الهاسدينغ: هي القبيلة الثانية للوندال هاجروا جنوبا باتجاه الإمبراطورية الرومانية التي أغاروا عليها العديد من المرات حتى اضطر الرومان إلى إقامة صلح معهم تحصلوا بموجبهم على حرية العيش في مقاطعة داكيا الرومانية وكذلك في هانغاريا الرومانية. لمزيد من الإيضاح أنظر : وكيبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org.

(5) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 374.

ثانيا- أسباب الغزو الوندالي لشمال إفريقيا:

1. في الجانب الأوربي: لقد اجتمعت العديد من العوامل التي دفعت بالوندال للتوجه نحو شمال إفريقيا متمثلة في النقاط التالية:

أ- لم تكن إسبانيا مواتية للاستقرار الوندالي، ذلك لأنه كان عليهم مواجهة الرومان من جهة، والقوط أي الأعداء التقليديين لهم من جهة ثانية، باعتبار أن هؤلاء الأخيرين كانوا قد هاجموهم في العديد من المرات في المناطق الإسبانية[1].

ب-ضف إلى ذلك أن القلاقل التي عاشتها إسبانيا منذ دخول الوندال، جعلتها تستنفذ خيراتها، ولم يعد بإمكانها أن تقدم شيئا لتلك الأقوام الراغبة في النهب والثراء[2].

ج- كما أن الوندال كانوا قد استقروا في البداية في منطقة غنية آمنة لوقوعها في شمال غربي أوربا كانت تحت حماية الإمبراطورية الرومانية، حيث كانت محمية في أغلب الجهات التي تعتبر حدودا بحرية هامة، وهو ما يجعلنا نطرح الأسئلة التالية:

لماذا لم يستقر الوندال في الجنوب الغربي من أوربا الذي اجتاحوه في المراحل الأولى من وصولهم إلى المنطقة؟ ما هي الأسباب التي كانت تحرك رغبتهم في الاستيلاء على بلاد المغرب؟ لماذا لم يذهبوا مباشرة إلى هدفهم المتمثل في الاستيلاء على مدينة روما ما داموا يسعون لذلك منذ البداية؟ ما هي الصعوبات التي حالت دون ذلك؟ هل الأسباب التي دفعتهم للاستيلاء على بعض أجزاء من شمال إفريقيا كانت هي الهدف المقصود، أم أنها كانت وسيلة لأهداف أخرى كانت أكثر أهمية منها؟ وهل تحقق لهم ذلك؟.

حتى نتمكن من الإجابة عن الأسئلة التي طرحناها، لابد لنا أن نعود إلى التفسيرات الكثيرة لكتابات بعض المؤرخين، والتي تبين لنا أن الهدف الأسمى الذي كان

(1) - Yanoski (J.), Op. Cit.,P.5
(2) - Gautier (EF.), Op. Cit., P. 114.

يسعى إليه الوندال يتمثل في الاستيلاء على روما[1] عاصمة العالم المتوسطي حينذاك[2]، ولكن ذلك لا ينفي أيضا وجود أسباب أخرى، لها من الأهمية ما يجعل تلك القبائل تغامر بشعوبها المجتاحة من أجل الإستلاء على أجزاء كبيرة تمثلت في كل من جنوب غربي أوربا والجزء الشمالي للقارة الإفريقية بأكمله.

وهكذا، فإنه فيما يخص مشاكل الإمبراطورية الرومانية نفسها، التي كانت تتمثل في تدني المجال الاقتصادي المعتمد على الزراعة، حيث أن منتوج القمح الذي كان مصدرها الأول في إفريقيا كان قد شهد تناقصا كبيرا، وهو ما ترتب عنه الندرة في المادة الغذائية الأولى التي أدت إلى ظهور مشاكل اجتماعية خطيرة عبر عنها بيرتيي (Berthier) بالحرب البونية الرابعة[3]. إضافة إلى ذلك تفاقم الوضع الاجتماعي لكثرة الحروب التي كانت نتيجتها الهزائم المتكررة، وهذا ما عبر عنه "شار أندري جوليان" بوصفه لحالة الاحتضار التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية في أواخر عهدها[4]، وهو ما شجع الوندال في المضي قدما لتحقيق رغباتهم.

ثانيا- الجانب الإفريقي: أما فيما يخص الجانب الإفريقي، فقد لخص لنا المؤرخ (جوليان) في كتابه تاريخ إفريقيا الشمالية ملائمة بلاد المغرب القديم للغزو الوندالي بقوله:" وقد خلبت إفريقية لب ملك الوندال كما خلبت من قبله لب ملوك القوط خاصة، وقد كان الظرف مناسبا جدا، فعلاوة على تمرد بونيفاس كانت الثورات البربرية المزمنة وكانت انتفاضات الأقوام التي أرهقتها ضرائب الإمبروطرية وإرهاب الدوناتيين الذين كانوا يغتنمون جميع الفرص ليعبروا عن سخطهم إزاء السلطة المركزية. وكانت إفريقية بأجمعها تتوق على غرار حاكمها إلى الإستقلال السياسي.

---

(1) – روما: تذكر الأساطير بأن مدينة روما تأسست على يد رومولوس بمساعدة ريموس اللذان كانت أمهما هي ريا سليفيا كاهنة في معبد الإله. وكانت روما عاصمة للإمبراطورية الرومانية، ومع ظهور الدعوة المسيحية وانتشارها أصبحت مركزا للدين المسيحي ومقرا أساسيا للكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى خاصة بعد انحطاط الإمبراطورية الرومانية. لمزيد من المعلومات أنظر: ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ج.2، ت. نسيم اليازيجي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2000، ص ص. 457- 462.

(2) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 375.

(3) - André Berthier, L'Algérie et son Passé, Ed .A .et J. Picard, Paris, 1951, P. 134.

(4) – خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، ج1، تونس، 2007، ص ص. 215-219.

ومن الطبيعي، أن يتوقع من تحدثه نفسه بالإغارة على هذا البلد مقاومة ضعيفة ومساعدات ثمينة". [1].

اعتمادًا على النص السابق وما أشار إليه الكثير من المؤرخين الذين تناولوا الموضوع، يمكن أن نشخص محفزات الحملة الوندالية على شمال إفريقيا في عدة مظاهر أهمها ما يلي:

1- اشتهار بلاد المغرب بالثراء الزراعي، حيث كانت الممون الرئيسي لروما وكل مقاطعاتها بمختلف المنتوجات الفلاحية وعلى رأسها القمح والزيت، وهذا ما رغب الوندال في الاستئثار بالمنطقة وافتكاكها عن الرومان في إطار حصار غذائي يعجل بسقوطها في أيديهم[2].

2- كما يلاحظ أن إفريقيا قد عرفت في العهد الأخير من الإمبراطورية الرومانية فوضى عميقة بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والتي تمثلت في ارتفاع الضرائب وانتشار الفقر وازدياد العداوة بين المور والرومان، وبالتالي التفكير في الانفصال عن الإمبراطورية الرومانية، وكل ذاك لم يكن بعيدا عن أعين جنسريق (Genséric) الذي تأكد بأن هذا الوضع يخدم مصلحته الخاصة بشكل كبير[3].

3- إلى جانب ذلك هناك الحوافز المتأتية من شمال إفريقيا نفسها، والمتمثلة في الائتمان من جهة كونت إفريقيا بونيفاس الذي كان غاضبا على الوضع[4] ويظن أنه اتفق مع الوندال لاستقبالهم وتسهيل مهمتهم مقابل حمايته ونجدته، إن هو تعرض لعمل عسكري من قبل سادة روما المتنازع معهم[5].

4- فضلا عن إدراك الوندال لمعاداة المور للرومان واستعدادهم للتعاون مع أي طرف يمكنهم من تحقيق المزيد من الاستقلال، وليس مستبعدا أن يكون الطرفان (الوندال وأمراء المور) قد اتصلا ببعضهما واتفقا على أدنى ما يمكَن الطرفين من تحقيق

---

(1) – شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص. 325.

(2) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 375.

(3) - Berthier (A.), Op. Cit., P. 134.

(4) - Yanoski (J. M.), Op. Cit., P. 5.

(5) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 5.

مصالحهما، وهذا ما يستنتج من عدم اعتراض المور طريق الوندال أثناء عبورهم للأراضي الموريطانية، بل لعل الناس كانوا يشاهدون ذلك بتشفي كبير حسب تعبير المؤرخ شارل أندري جوليان[1].

إن فكرة الاستنجاد بالوندال لم تكن خاصة ببونيفاس فقط، بل يشاركه كذلك في نفس الفكرة الدوناتيين الذين يرون في الجيش الوندالي أحسن وسيلة للانتقام من الكاثوليك، خاصة بعد القانون الذي صدر ضدهم من طرف الإمبراطور فلانتنيان الثالث في 30 ماي 428م، والذي قيد نشاطهم وحد من تحركاتهم[2].

لقد كان الهدف الأول للوندال هو الوصول إلى عاصمة عالم البحر المتوسط روما، والذي اختير من أجله الطريق الجنوبي الذي ينتهي بجزء بحري هام يربط بين ضفتي البحر المتوسط. لذلك، فإن جنسريق لم يهمل ذلك الموقع الاستراتيجي لأنه وضع في حسبانه الخبرة والإمكانيات الإفريقية في المجال البحري، وما يؤكد ذلك تنصيب نفسه كأميرال على ترسانة من القوات البحرية التي مكنته من الدخول إلى روما في الثاني من شهر جوان عام 455م.

والجدير بالذكر أنه يمكننا القول بأن جنسريق اعتبر إفريقيا بمثابة قاعدة عسكرية أمامية لجيشه من أجل بلوغ هدفه المتمثل في الاستيلاء على روما[3].

ومهما يكن فإنه إذا كانت الأسباب الخاصة بالطرفين الروماني والإفريقي تتمثل فيما أشرنا إليه، فإن الأسباب الخاصة بالوندال تمثلت في حالة عدم الاستقرار بسبب الصراع والنزاع الذي كان بينهم وبين مختلف القبائل الأخرى وعلى رأسهم الفرنجة، حيث كان الجميع يحارب من أجل الاستيلاء على نهر الراين وكل السهول الخصبة المجاورة له. كما أن الفرنجة اعتبروا أنفسهم الحليف الوحيد والأساسي للإمبراطورية الرومانية وعليهم الدفاع عن أراضيها وفي خضم هذا الوضع أصبح الوندال على وشك

---

(1) – شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص. 326.

(2) - Berthier (A.), Op. Cit., P.134.

(3) - Idem, P. 134.

الهلاك[1]، لكنهم ولحسن حظهم تمكنوا من العبور إلى الضفة الغربية من نهر الراين وبدؤوا زحفهم نحو المناطق الغربية والغربية الجنوبية بحثا عن مناطق أكثر أمنا[2].

إن تمكن الوندال من وضع أيديهم على العديد من الأراضي وعبورهم لجبال البرانس[3] ثم الاستقرار في إقليم غاليسيا –إسبانيا الحالية–، أين صادفوا القوط الغربيين الذين حاربوهم واضطهدوهم[4]، بعدما تمكنوا من دخول روما وإخضاعها لسيطرتهم على يد زعيمهم الاريك (Alaric)[5] عام 410م. غير أن الإمبراطورية الرومانية تمكنت من إثارة الأحقاد بين مختلف القبائل في إقليم غاليسيا لتمكين نفسها من السيطرة على الوضع والمنطقة في آن واحد[6]. وكنتيجة لما سبق تم أسر ملك الوندال وهو ما جعل هؤلاء الأخيرين يضطرون لمهادنة الإمبراطورية الرومانية والقبول بالخضوع تحت لوائها وإعلان التبعية رسميا لها[7].

لقد تأكد الوندال بأن بقاءهم في الأراضي الإسبانية غير مرغوب فيه بعدما قتل عدد كبير منهم، ولهذا واصلوا تحركاتهم نحو الجنوب بهدف العبور إلى الضفة الجنوبية من البحر المتوسط[8]، كما أنهم اقتنعوا بأن بقاءهم في إسبانيا يضعهم في عزلة عن العالم القديم، وقد يمكن خصومهم القوط أحلاف روما من محاصرتهم والقضاء عليهم نهائيا، فضلا عن تطلعهم إلى إشباع نزواتهم في الإغارة والغنائم التي تكون في متناول أيديهم عندما يتمكنوا من الاستقرار بقرطاجة، ذلك المكان المناسب لنشاطهم.

---

(1) - Moss, The Birth of middle age, Oxford, 1935, P. 17.

(2) - Gregory of Tours, The history of franks, Pinguin, 1974, P. 106.

(3) جبال البرانس: هي سلسلة جبلية تمتد من خليج باسكي إلى البحر الأبيض المتوسط على طول يقدر بـــ 435 كلم وهي بمثابة حدود طبيعية بين فرنسا وإسبانيا، لمزيد من الإيضاح أنظر: ويكبيديا، الموسوعة الحرة: WWW. Wikipedia.org.

(4) - Robinson, Ancient history, New York, 1965, P.659.

(5) ألاريك : قائد روماني ولد حوالي سنة 370م من أسرة أستقراطية من قبيلة القوط الغربيين، كان احد القادة الرومان البارزين في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس، توفي بسبب المرض في آوخر عام 710م. لمزيد من الإيضاح أنظر: Pierre Michou, L'empereure d'occident, Reedition Verdier, 2007, P P. 80-81.

(6) - Augustin (St.), The city of god, Pinguin, 1972, PP.12-20.

(7) - E. lot, The end of ancient world and the beginnings of the middle ages, London, 1931, PP. 205-206.

(8) - Gregory of Tours, Op. Cit., P. 106.

لقد كانت إسبانيا في رأي الوندال سجنا يهددهم بالفناء إذا هم استقروا فيها بينما شمال إفريقيا الممتد بمحاذاة البحر الداخلي (Mar interne) الزاخر بالملاحة التجارية والمتفتح على الشرق والغرب وما بينهما من أقطار وثروات، كان في نظر عالما فسيحا يلائم تطلعات شعبه التواق إلى الغزو، كما أن السيطرة على إفريقيا في رأيهم تعني حرمان روما من أفضل قسم من إمبراطوريتها[1].

ثالثا – مســـار الغــزو الوندالي:

1. في الجزء الأوروبي:

انطلاقا من ضفاف بحر البلطيق[2] ومن أعلى نهر ثيس (Theis) المتواجد بإقليم ترانسلفانيا[3] في رومانيا حاليا، ومع نهاية القرن الثاني الميلادي كان أول تحول للوندال[4] نحو إقليم ريتيا[5] (Raetia) المجاور لنهر ثيس وبعدما لحقت بهم عدة عناصر كالسويف[6] (Suéves) تحرك الجميع نحو نهر المين[7] (Main)[8]، غير أن تلك المنطقة كانت تشهد عدم الاستقرار تمثل في النزاع المتواصل على الأرض والذي

---

(1) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 376.

(2) – بحر البلطيق: يقع في شمال أوروبا محاطا بشبه الجزيرة الاسكندنافية وأوروبا الوسطى وأوروبا الشمالية وأوروبا الشرقية والجزر الدانماركية يتصل بخليج كاتيغات عن طريق مضيق أوريسند والحزام الكبير والحزام الصغير، يكمل كاتيغات طريقه إلى بحر سكاغيراك ومنه لبحر الشمال حتى يصل إلى المحيط الأطلسي، يتصل البلطيق بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق قناة البحر الأبيض وببحر الشمال عن طريق قناة كيل. لمزيد من المعلومات أنظر: وكيبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

(3) ترنسلفانيا: إقليم جغرفي في رومانيا يقع قرب الحدود المجرية، تبلغ مساحته نحو100ألف كلم^2، لمزيد نم المعلومات أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

(4) - Bury (J.), Op. Cit., P. 99.

(5) – ريتيا: هي إحدى المقاطعات الرومانية يحدها من الشمال نهر الدانوب ومن الشرق مجرى نهر لان ومقاطعة نوروكيوم ومن الغرب جرمانيا العليا ومن الجنوب بلاد الغال.

(6) – السويف: هم أحد القبائل الجرمانية التي سكنت السفوح الشرقية لجبال الألب ثم نزحت نحو الجنوب الغربي بقيادة ملكهم آريوفيست (Arioviste) ثم استقروا على ضفاف نهر الراين بعد هزيمتهم أمام جيوش الإمبراطورية الرومانية.

(7) – المين: هو رافد من روافد نهر الراين يتكون من المين الأبيض والمين الأحمر طوله 524كلم.

(8) - Gregory of tours, The history of Franks, Pinguin, 1974, P. 106.

جلب تحركات عناصر أخرى مثل الهون[1] (Huns) والقوط الشرقيين (Ostrogoths) وتحرك الجميع من الشمال نحو الجنوب متمركزين حول نهر الراين، وكان الوندال الأسدينغ، ثاني قبيلة وصلت إلى تلك المنطقة بعد قبيلة الألان[2] (Alans)، وقد اصطدموا بهجمات الفرنجة الذين كانوا يحاربون من أجل حماية نهر الراين، وفقا للتعهد الذي كان بينهم وبين الإمبراطورية الرومانية الذي يقضي بوجوب الدفاع عن أراضيها وهنا قتل قائد الوندال الأسدينغ جود جيزل.

في هذه المرحلة كان الوندال على وشك الهلاك لولا تدخل عناصر الألان الذين غيروا ميزان الحرب وتحولت الانتصارات لصالحهم ولهذا تمكن كل من الأستينغ والألان من عبور نهر الراين[3].

بعد عبور نهر الراين تمت السيطرة على أول مدينة وهي مدينة مينز (Mains) ثم مدينة ترير (Trier) الواقعة على نهر الموزل (Mosselle) ثم مدينة ريمز (Reims) ثم أمينز (Amiens) وأراس (Arras) وثورناري (Tournary).

بعد هذا التحرك من الشرق إلى الغرب ثم إلى الشمال قليلا اتخذ الوندال الأستينغ ومن معهم من العناصر الأخرى طريقهم نحو الجنوب وعبروا نهر السين (Sein) ونهر اللوار (Loir) ووصلوا إلى مقاطعة أكويتين (Aquitaine) وسيطروا على كل مدنها وتعرضت المنطقة للتخريب[4].

وفي خريف 409م اتخذ الوندال الأستينغ والسيلينغ والسويف والألان بقيادة جندريك (Gunderic) طريقهم نحو مدينة بوردو (Bordeaux) وعبروا جبال

---

[1] – الهون: هم قبائل ينتمون إلى أصول معقدة فمن الناحية اللغوية وحسب علم الأسماء (Onomastique) فهم عبارة عن خليط من أسماء ذات أصول تركية وأخرى من أصول إيرانية إضافة إلى أصول أخرى قوطية، وهذا يعني أنهم خليط من الأجناس التركية والإيرانية والقوطية. غير أن بعض المؤرخين يرجحون بأن الهون شعب لا يستبعد أن يكون من أصول منغولية، إلا أن هذه الفرضية رفضت من قبل المؤرخ أوطو جون ماونشن الذي يعتبر المختص في دراسة قبائل الهون في أوروبا، لمزيد من المعلومات أنظر:

- Otto John Maenchen- Helfen , Golden, 1992, PP. 57-83.

[2] – الألان: هم بدو رحل ينتمون إلى أصول وثقافة إيرانية.

[3] - Moss, Op. Cit., P. 17.

[4] - Bury (J.), Op. Cit., P. 192.

البرانس نحو الإقليم جاليسيا (Galicia)[1]، وصادفت تلك التحركات أحوال الإمبراطورية الرومانية التي كانت سيئة للغاية، حتى أن الدارس يلاحظ أنه كان هناك في بداية عام 410م ستة من الأباطرة يحكمون في نواحي الإمبراطورية منهم ما هو شرعي وما هو غير شرعي معترف به في جزء من أوروبا فقط وهم هونوريوس (Honorius)، ثيودوسيوس (Thiodosius)، أتالوس (Attalus)، قسطنطين (Constantin)، قونسطانس (Constans)، ماكسيموس (Maximus). وقد حاول جيرنتيوس (Gerantius) تحت قيادة قونسطانس القضاء على الوندال في هذا الجزء، إلا أنه عجز عن ذلك بسبب عدم الاستقرار السياسي وضعف قوة الإمبراطورية من جهة والهدنة التي فرضها جندريك من جهة ثانية، والتي كان من بين شروطها الاستيلاء على العديد من الأراضي[2]، حيث تمركز الوندال السلينغ تحت قيادة فردبال (Fredbal) في جنوب إسبانيا في بيتيكا (Beatica) والوندال الألان تحت قيادة أداك (Addac) في لوزيتان (Lusitania) في الغرب والوندال السويف والأستينغ تحت قيادة قائد واحد هو جندريك في الشمال الغربي من جاليسيا[3]. أنظر الخريطة الشكل رقم 4، ص 60.

2- في الجزء الإفريقي:

بعد الاستقرار الذي دام عدة سنوات نعم فيها الوندال بكل الخيرات الإسبانية من ذهب وقمح وأحجار كريمة. عاد التوتر السياسي والصراع بين القبائل في ظل المد والجزر مع قادة الإمبراطورية الرومانية، مما أدى في الأخير إلى دخول كل القبائل تحت لواء جندريك كملك عليهم إلى غاية وفاته عام 428م ثم حمل هذا اللقب خلفاؤه من بعده[4].

(1) - Gregory of tours, Op. Cit., P. 106.
(2) - Gibbon, The history of the decline and fall of the roman empire, PP.401-402.
(3) - Idem, P. 402.
(4) - Gregory of tours, Op. Cit., P. 106.

بعد السيطرة على الجنوب الإسباني بما فيه من مدن مثل قرطاجنة[1] واشبيليا[2] اللتين تم افتكاكهما من أيدي جيوش الإمبراطورية الرومانية سنة 425م ثم الإستقرار على طول السواحل الإسبانية، بسط الوندال نفوذهم على البحر المتوسط بفضل أسطول إسبانيا وسرعان ما تم احتلال الجزر المحاذية للسواحل الإسبانية التي كانت مراكز أمامية لانطلاق سفنهم لنهب سواحل موريطانيا الطنجية ابتداء من سنة 425م[3] .

وبعد موت جندريك عام 428م الذي كان له والدان هما (Genseric) وجونثاريس (Gentharis) وكان هذا الأخير لا يزال طفلا، أما الأول فكان ذكيا متمرسا على إدارة شؤون البلاد في حياة أبيه وبعد وفاته حيث بدأت الأحداث في إفريقيا تشكل جذبا متوقعا للوندال، والتي ميزها صراعا سياسيا كبيرا[4].

---

[1] قرطاجنة: مدينة تقع بالسواحل الجنوبية الإسبانية، أسسها القرطاجيون عام 225 ق.م وجعلوا من الخليج الذي تطل عليه أحد المرافئ الهامة التي تشكل همزة وصل بينهم وبين المدن الداخلية لصرف منتوجاتهم التجارية. ولمزيد من المعلومات أنظر: ويكبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

[2] إشبيليا: عرفت هذه المدينة في العهد الروماني باسم هيسباليس (Hispalis)، أما سكانها فقد أطلق عليهم إسم السيفيلناس (Sevillanas)، تتمركز هذه المدينة بالسهول المحاذية للواد الكبير بإسبانيا حاليا، اشتهرت باسم إشبيليا أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا. لمزيد من المعلومات أنظر : وكيبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

[3] – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص. 322– 323.

[4] - Procopius, Op. Cit., P.31.

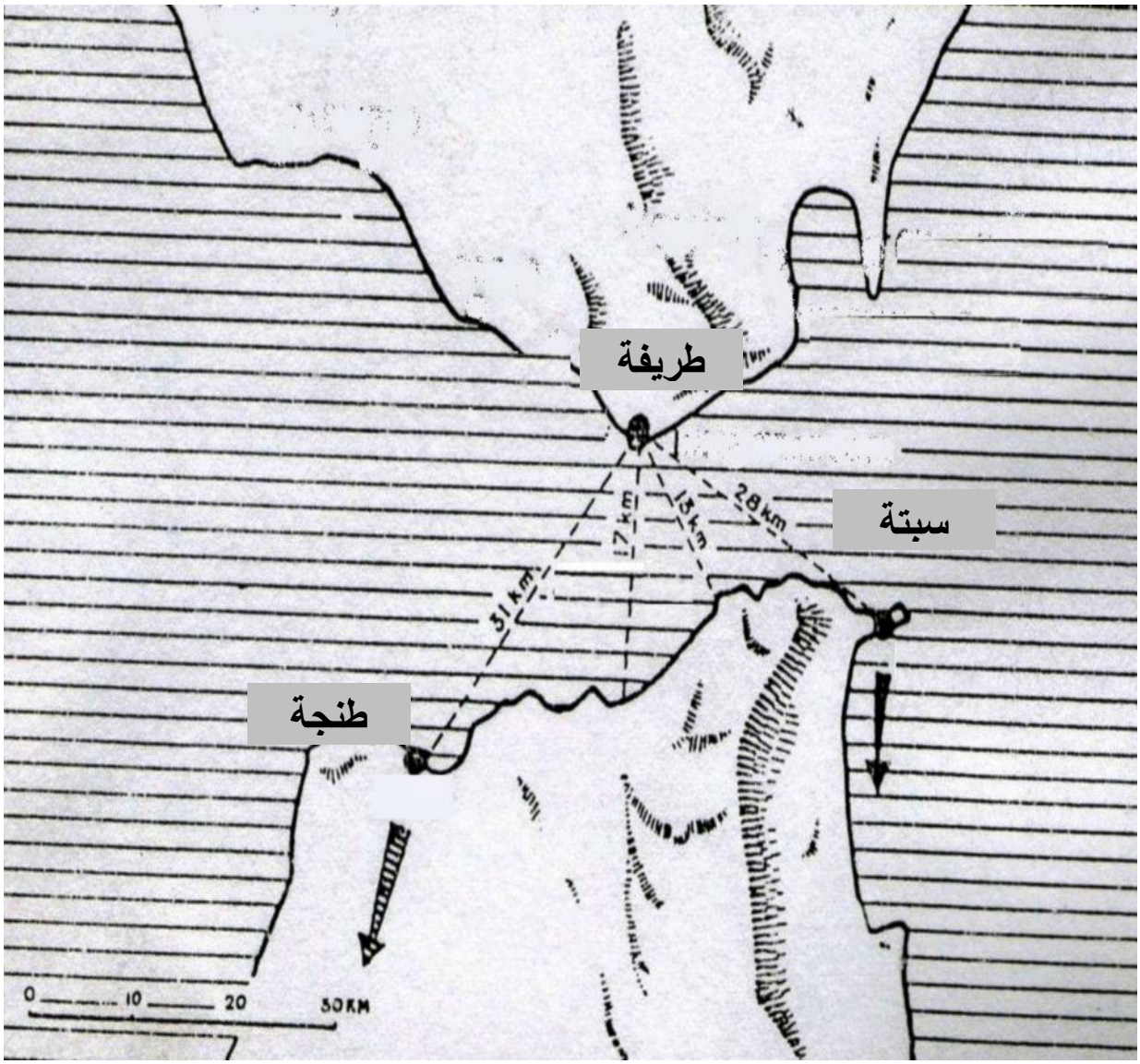

الشكل رقم : 04 عبورالوندال الى الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط 429 م

المصدر : Courtois (Ch.), Op. Cit, P. 158.

لقد كان هناك اتفاق بين بونيفاس عن طريق سفرائه في إسبانيا وجنسريق ملك الوندال يقضي بأن يتولى الملك الوندالي الذي خلف أباه في حكم الشمال الإفريقي بواقع ثلث الأراضي لكل منهم ثلث لبونيفاس وثلث لجنسريق وثلث آخر لجونثاريس، وإذا هوجم أحدهم من طرف أي عدو فعلى الثلاثة أن يتحدوا معا ضد ذلك العدو[1].

بناء على ذلك ساعد جنسريق الاقتراح المشار إليه آنفا وذلك بحكم صغر سن أخيه الذي يسمح له أن يتحصل على ثلثي الأراضي من جهة. ومن جهة أخرى، كان جنسريق يرمي من وراء ذلك إلى إيجاد من يساعده على العبور إلى الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط بعدما تعهد له بونيفاس بتقديم كل التسهيلات والوسائل اللازمة لذلك. وهكذا، عبرت كل أمة الوندال إلى الشمال الإفريقي في ماي من عام 429، أنظر الخريطة رقم 5 ، ص 62.

يقال أن تعداد ما عبر من الوندال إلى الشمال الإفريقي كان ثمانين ألفا منهم خمسون آلف محارب، وكان هذا العدد يتضاعف باستمرار بمن ينظم إليهم من المور[2] إلى الوندال لاسيما أولئك الذين كانوا قد عانوا الكثير من مضايقة وضرائب الرومان الذين أخرجوهم من أراضيهم وسلبوهم خيراتهم[3]. وهناك من المؤرخين من يرى بأن المحاربين الوندال فقط هم الذين عبروا في بداية الأمر ولم يعبر الشعب الوندالي بكامله إلا بعد سقوط قرطاجة [4]. غير أنه لا يمكن الأخذ بهذا الرأي ذلك أنه من الصعب ترك الشعب الوندالي كله دون قوة تحميه.

(1) - Idem, Op. Cit., P. 31.

(2) - Yanoski (J.M.), Histoire de la domination des Vandales en Afrique, Furmin Didot, Paris, 1844, P. 11.

(3) - Gilbon (E.), Histoire de la décadence et de la chute de l'empire romaine, Vol.21, Ed. Le fevre, Paris , 1819, PP. 215-219.

(4) - Bury (J.), Op. Cit., P. 246.

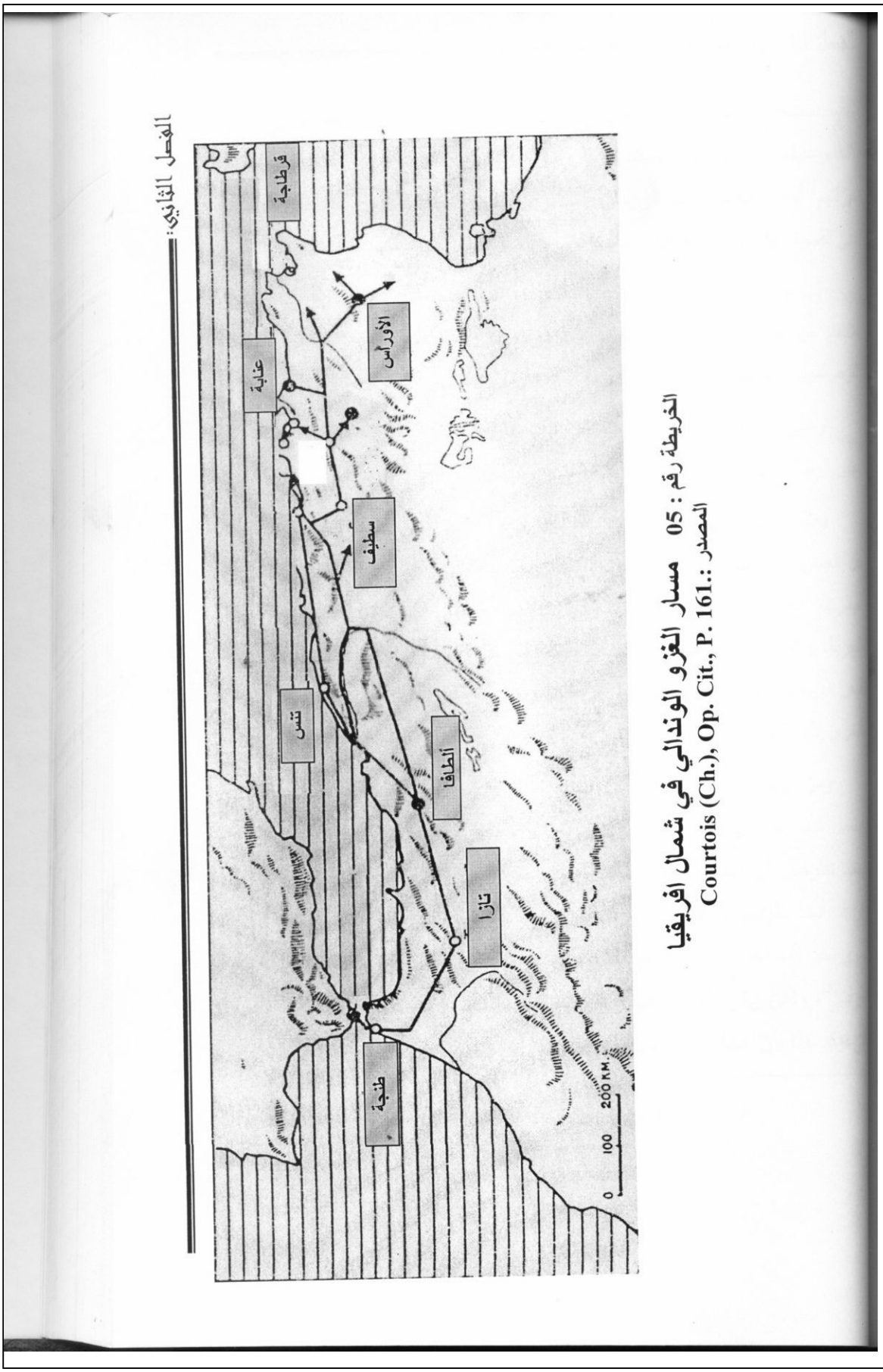

الخريطة رقم : 05 مسار الغزو الوندالي في شمال افريقيا

المصدر : Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 161.

نستنتج مما سبق، أن الوندال لم يجدوا المساعدة من الأهالي فقط الذين خرجوا لإشفاء غليلهم من الطغاة المستبدين الرومان، والذين أبعدوهم من أراضيهم وسلبوهم خيراتهم[1]، بل هناك أولئك الرومان المتذمرين الذين كانوا يفضلون الفوضى الوندالية على القسوة الإدارية الرومانية وخاصة قسوة الضرائب التي كانت تسلط عليهم.

إلى جانب من وقف مع الوندال وقدم لهم المساعدة نذكر الدوناتيين المتعطشين للانتقام من الكاثوليك الذين شردوهم وجردوهم من ممتلكاتهم، ولهذا حاولوا استمالة القوط الذين أرسلهم الإمبراطور الروماني لمحاربة الوندال.

وعلى أية حال فمهما تعددت الروايات فالثابت الذي لا خلاف فيه هو أن عبور الوندال إلى إفريقيا كان بساعدة القائد بونيفاس[2].

يعتقد الكثير من المفكرين بأن الوندال كانوا لا يملكون أسطولا بحريا بإمكانه نقل الجيش والشعب الوندالي نحو الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط.غيرأن سيطرتهم على الجزر المتاخمة للسواحل الإسبانية التي كانت تملك بعض القطع البحرية والتي بدون شك كانوا قد استغلوها في نقل المحاربين نحو الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، تنفي هذا الإعتقاد وتؤكد أن الوندال لهم خبرة في المجال البحري لا يستهان بها[3].

ومن جهته، يؤكد كورتوا في عملية النقل والإنزال في الضفة الجنوبية والتي استعمل فيها الوندال قوارب متجهين بها مباشرة نحو السواحل الإفريقية[4]، وهذا ما يجعلنا نفترض أن انتقال الشعب الوندالي من جنوب أوروبا الغربية إلى شمال إفريقيا كان قد اتخذ طريقين، الأول عبر مضيق (جبل طارق) نحو طنجة المغربية والثاني بحري نحو السواحل النوميدية التي تشكل الهدف الأسمى لجنسريق بحكم ما تملكه من خيرات[5]، ولكن يبقى المسار الثاني غير مؤكد ما دام لم يجد الأدلة المادية والأدبية التي تؤكد هذا من جهة، ومن جهة ثانية هناك صعوبات تكتنف ذلك المسار البحري

(1) - Gibbon (E.), Op. Cit., P. 219.
(2) - Jordanes,The risigothic conquest in contor-the medivale world, London, 1963, P. 71.
(3) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 207.
(4) - Ibid, P. 208.
(5) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 161.

والمتمثلة في نقص الخبرة الوندالية في استعمال السفن، كما أن المواجهة العسكرية الرومانية تشكل خطرا آخر. يضاف إلى ذلك حجم عدد الوندال الذي قارب 80 ألف شخص .

إذا سلمنا بأن الانتقال كان قد تم عن الطريق الواقعة بالسواحل الإسبانية باتجاه طنجة المغربية عبر مضيق (جبل طارق)، فإن النقطة الموالية مباشرة في الجزء الشمالي لإفريقيا تتمثل في طنجة (Tanjis)[1] ثم ألتافا (Altava)[2] ، وهذا ما يمكن أن نسلم به إذا ما قمنا بعملية حسابية تتمثل في متوسط سرعة الوندال من طنجة إلى ألتافا التي كان الوصول إليها في شهر أوت 429م أي حوالي شهرين كاملين[3]. وحسب تقديرات كورتوا فإن تلك المسافة المقدرة بـــ 700كلم من طنجة إلى ألتافا تتطلب مدة شهرين على الأقل سيرا على الأقدام والحيوانات للوصول إليها[4].

ولم يبلغ الوندال مدينة عنابة إلا في شهر جوان 430م الذي تطلب منهم قطع مسافة 1200كلم هذا إذ انتقلوا عن طريق السواحل في وقت استغرق ما يقارب سبعة أشهر بسبب المواجهات الرومانية التي عطلت تقدمهم.

حول هذا الموضوع، يقترح كورتوا ثلاثة طرق محتملة انطلاقا من ألتافا إلى الحدود السطايفية، وهي:

- الطريق الأول: يمربمحاذاة سواحل البحر الأبيض المتوسط المحاذية لشمال إفريقيا.

---

(1) طنجة: يشهد على تاريخ طنجة المواقع والبقايا الأثرية المتواجدة بها والمنتمية إلى حضارات ما قبل التاريخ وحضارات الفنيقيين والبونقيين، التي ربطت إسم طنجة في أساطيرها العريقة باسم طنجيس، زوجة "أنت" إبن "بوسيدون" إله البحر و"غايا" التي ترمز للأرض ثم الفترة الرومانية التي أصبحت طنجة تتمع خلالها بحق المواطنة الرومانية، بل من المحتمل جدا أ ن روما جعلت من طنجة عاصمة لموريطانيا الطنجية المقاطعة الغربية لروما. ولمزيد من المعلومات أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

(2) ألتافا : سميت أثناء الإستعمار الفرنسي بلمور سيير(Lamorciere) وحاليا تدعى أولاد ميون بولاية تلمسان.تعد هذه المدينة من بين المراكز الإستراتيجية في العهد الروماني وبعد دخول الوندال صارت عاصمة لمملكة بربرية مستقلة. ولمزيد من المعلومات أنظر : يكيبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

(3) - Le Gall (J.), L'Itinéraire de Genséric, roi des vandales, revue de philologie, T. LXII, 1936, PP. 268-273.

(4) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 161.

- الطريق الثاني: يتبع خط الليمس الوهراني وهو طريق داخلي.
- الطريق الثالث: بمحاذاة الهضاب الموالية لوادي الشلف ووادي الصومام الذي يعد هو الآخر طريقا داخليا.

غير أن تلك الفرضيات الثلاثة تبقى محتملة لا غير فبعد وصول الوندال إلى موريطانيا السطيفية وجدوا شبكة طرق ومسالك أكثر تعقيدا، أين التقى فيها الجميع، لينطلق الكل نحو مدينة قرطاجة عبر سلسلة الأطلس التلي[1].

وهكذا، فإنه في بداية 431م كان جزء من الوندال قد قطع نوميديا وتم غزو المناطق التي مروا بها بعدما عجز الجيش الروماني عن توقيف مسارهم.

يتضح من كل ما سبق أن الوندال لم يواجهوا مقاومة تذكر قبل الوصول إلى حدود نوميديا، رغم أساليب العنف التي صدرت منهم كالنهب والتخريب والتقتيل والتعذيب وفقا لما يذكره كل من بوسيديوس وفيكتور دي فتا[2].

لقد عجز شيوخ الرومان عن التصدي للوندال، لكن بونيفاس تراجع عن مساعدته لهم، خاصة بعدما تحسنت علاقته مع بلاسيديا الوصية على ابنها، مما جعله يعود إلى هيبوريجيوس (عنابة) بعد هزيمته في المعركة الأولى ضد الوندال الذين تمكنوا من محاصرة المدينة لمدة أربعة عشرة شهرا بداية من ماي 430م، ورغم الإمدادات الرومانية بقيادة أسبار (Aspar)[3] الذي يعد أحد أهم القادة العسكريين الرومان، إلا أن الهزيمة كانت حليفة الاثنين وكانت النتيجة أن استولى جنسريق على المدينة سنة 431م[4].

---

(1) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 126.

(2) - Possidius, La vie de Saint Augustin, Victor de vita, Histotia Perseculatinis vandalicae (d'après CH. A. Julien) Op. Cit., P. 325.

(3) أسبار: فلافيوس أردبيروس أسبار،(Flavius Ardaburius Aspar)، قائد عسكري من قبائل الألان الجرمانية في عهد الإمبراطوريين ثيودوس الثاني، ومارسيي حارب الفرس والوندال توفي 471م ولمزيد من المعلومات أنظر: Louis Gabriel Michaud, Biogrfie ancienne et moderne ;Histoire par ordre alphabtique de la vie Publique et privée de tous les Hommes avec la collaboration de plus de 300 Savents et littérateurs Français ou étranger, 2em édition , 1865, P.45.

(4) - Procope, Op. Cit., P. 33.

بعد وفاة بونيفاس بشهور صارت إفريقيا الرومانية بدون حام، فاضطر أتيوس قائد الجيش إلى عقد هدنة هيبوريجيوس مع جنسريق في 11 أفريل 435م وفيها تم التأكيد على هيمنة الوندال على المقاطعات الموريطانية، وجزء هام من نوميديا مقابل دفع غرامة سنوية للإمبراطور. وبعث ابنه هونريك إلى روما كرهينة[1]، وفي 19 أكتوبر 439م استولى الوندال على قرطاجة دون مقاومة تذكر، وبدأ القائد الوندالي يحضر ويعد العدة لمهاجمة جزر البحر الأبيض المتوسط، وبحلول سنة 455م استولى الوندال على إقليم طرابلس إلى أن مدوا نفوذهم بعد ذلك على كامل الإقليم الشرقي.

وهكذا، تمكن الوندال من الاحتلال والسيطرة على منطقة شمال إفريقيا في فترة زمنية تقارب قرنا من الزمن[2].

من خلال ما سبق، نجد أن مصطلح الوندال لا يزال مرتبطا بصفة الوحشية والتخريب والتدمير، إلا أن هذا لا ينفي بأن مصطلح الوندال يستدل به على شعب تعود أصوله إلى القبائل الجرمانية، كما أن هذا الإسم يعود إلى الموطن الأصلي لهما والمتمثل في قرية فاندال السويدية، وما عدا ذلك فهو مجرد أسطورة أرادها أعداء الوندال، ليلحقوا بهم هذه الصفات المشينة.

إن مجاورة الوندال للحدود الرومانية الشمالية، جعلتهم يقعون بين فكي كماشة فكها السفلي الامبراطورية الرومانية، وما تفرضه من التزامات عسكرية وسياسية واقتصادية، وفكها العلوي كان مكونا من مختلف القبائل الجرمانية التي تتصارع وتتنافس معها على الأراضي الخصبة من جهة، وفرض زعامتها على المنطقة من جهة أخرى، ولهذا شكلت مجمل تلك العوامل أسبابا كافية للهجرة والنزوح نحو المناطق الغربية ثم الجنوبية الغربية.

وعلى الأرجح فإن روما عاصمة الامبراطورية الرومانية كانت الهدف الأسمى للوندال، كما لم يكن يخفى عليهم أن القوة الضاربة للامبراطورية الرومانية، تكمن في المقاطعة الافريقية التي تعد أساس التموين الاقتصادي والعسكري، ولكن في نفس

---

(1) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص. 240–241.

(2) - Yanoski (J.), Op. Cit., P. 21.

الوقت لا يمكننا أن ننفي بأن خيرات الشمال الافريقي تسيل لعاب كل من اشتدت شوكته وبرزت قوته، والوندال لا يمكن أن يفوتوا الفرصة في ظل انحطاط وتدهور الامبراطورية الرومانية من ضفاف بحر البلطيق إلى الحدود الجنوبية لإسبانيا لم يكن الحال سهلا، فمنذ نهاية القرن الثاني الميلادي المعروف ببداية تاريخ التحرك الوندالي والصراعات المستمرة والمعارك المتواصلة مع مختلف القبائل التي كانت في غالبية الأحيان تشكل ذرعا واقيا للامبراطورية الرومانية، نتيجة لذلك التحالف الذي كانت تربطه هذه الأخيرة مع بعض القبائل مقابل بعض الامتيازات التي تحصل عليها.

بعد الاستقرار الذي نعم به الوندال في الجنوب الغربي لأوربا، بدأ التحرك نحو الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط التي كانت أوضاعها السياسية مشجعة لذلك، وبمساعدة مورية تمكن الوندال من العبور عبر مضيق جبل طارق، ومن ثم نحو الغرب عبر مسار يوحي للدارس بأنه لم يكن عفويا، بل كان عن دراية وعلما بالظروف السياسية والمصاعب الطبيعية التي يمكن أن تواجه الوندال في ذلك المسار.

لقد استمر الزحف الوندالي والسيطرة الكاملة على كل ما يوجد في طريقه، وأمام عجز الجيش الروماني في توقيف ذلك الزحف، تمكن الوندال من بلوغ هيبوريجيوس عنابة حاليا ثم الوصول إلى قرطاجة التي تمت السيطرة عليها بدون مقاومة تذكر، والتي كانت قاعدة انطلاق نحو الامبراطورية الرومانية.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الونـــدال يغـــزون شمـــال إفريقيـــا

أولا- نطاق السيطرة الوندالية في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

ثانيا – الكيانات السياسية.

1. الكيان الوندالي.

2. الكيانات السياسية المورية

ثالثا – موقف المور من الغزو الوندالي.

1. ثورة الأوراس

2. ثورة الجمالة

3. ثورة انطلاس

رابعا – نهاية الوندال.

أولا – نطاق السيطرة الوندالية في الحوض الغربي للبحر المتوسط:

كان عبور الوندال إلى شمال إفريقيا قد تم عبر مضيق جبل طارق كما ذكر آنفا، وتلك العملية التي كان يجب أن تتم عام 428م، لكن غارات السويف على الممتلكات الوندالية في جنوب إسبانيا أخرت تنفيذهم للعملية، وذلك بحوالي سنة كاملة[1].

لقد انطلق جنسريق بجيوشه باتجاه إفريقيا من المكان المعروف "بطريفة "(Julia Traducta) الواقعة على السواحل الأوروبية بالقرب من مضيق جبل طارق في ماي 429م[2]، وبما أن فرضية عبور الوندال إلى الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط عن طريق المتسع البحري في اتجاهات متعددة ذات أسس ضعيفة وغير مؤكدة، فإن فكرة العبور عن طريق المضيق المشار إليه آنفا تبقى الأقرب إلى الحقيقة[3].

كانت سبتة وطنجة المحطات الأولى للوندال، كما كانت بمثابة نقطتي الانطلاق باتجاه كامل الشمال الإفريقي[4]، حيث كانت أنظار الوندال متجهة نحو نوميديا بالدرجة الأولى بعد أن تمت عملية العبور نهائيا مع نهاية شهر جوان سنة 429م، وهو تاريخ بداية المسيرة الطويلة للوندال باتجاه الشرق نحو بقية شمال إفريقيا[5].

كانت البداية من طنجة ثم الملوية وبعدها الاتجاه نحو ألتافا خلال شهر جويلية أو أوت من نفس سنة 429م قاطعين مسافة 700 كلم بجيش تعداده بين 10.000 و15.000 رجل محارب، متبوعين بأطفال ونساء وشيوخ كانت تفرمل سرعتهم، وأثناء هذا الجزء تم الاصطدام بقبائل الباقواط والبافار أو البوار ولم يتمكنوا من الوصول إلى مدينة "هيبون" عنابة حاليا إلا خلال شهر ماي أو جوان من سنة 430م، لأنه كان من الضروري عبور 1200 كلم للوصول إليها[6].

---

(1) – Procopius, Guerres des vandales, Trad. Dureau de la Malle dans l'Algériens ou manuel Algérien, éd. Fermin Didot, Paris, 1852, P. 38.

(2) – شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ص. 325.

(3) - Christiane Courtois, Les vandales et l'Afrique, P. 429.

(4) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 325.

(5) - Courtois (CH.), Op. Cit., PP. 171-175.

(6) - Ibid, PP. 175-177.

وبسبب الحواجز الدفاعية والعائق البشري الروماني الذي كان قد صادف الوندال في اتجاههم نحو هدفهم، يفترض أنهم كانوا قد وصلوا إلى عنابة بعد أن انقسموا إلى ثلاثة أفواج كل واحد منها كان له طريقه الخاص.

كان الفوج الأول قد اتجه بمحاذاة سواحل البحر الأبيض المتوسط، والثاني بمحاذاة وادي الشلف والصومام، والثالث بمحاذاة حدود الليمس. وقد واجهت الفرق الثلاثة صعوبات طبيعية كبيرة أثناء اتجاهها نحو الشرق مما أدى إلى افتراقها إلى أن اجتمعت بالقرب من مدينة عنابة [1].

ومن جهة أخرى، يلاحظ أنه بسبب الخلاف بين المؤرخين في تناولهم لموضوع الوندال، فإنه يبدو أن سيطرة هؤلاء القوم على إفريقيا لم تكن كاملة. لدرجة أن البعض حصرها في الولايات الشرقية من الجزائر الحالية. ومن بين هؤلاء الباحثين نذكر المؤرخ "كورتوا" الذي يرى أن كل المعطيات الأثرية من نقوش ومسكوكات تدعم فكرة حصر تموقع دولة الوندال في الولايات الشرقية من الجزائر[2]. لكن هذا لا ينفي أنه أيضا من وجهة نظر نفس المؤرخ يمكن أن يكون للوندال بعض نقاط الارتكاز على السواحل مثل تافزة (تيبازة حاليا بالجزائر)، قيصرية وتسبة، معتمدا في ذلك على:

- رواية فيكتور دي فيتا الذي يشير إلى حادثة قطع الألسنة التي تمت في تيبازة[3] رغم أنه لم يوجد عند غيره ما يدل على احتلال الوندال لهذه المدينة.
- رواية بروكوبيوس الذي أشار إلى إرسال بيليساريوس(Belisairius)[4] لأحد

(1) - Courtois (CH.), Op. Cit., PP. 177-181.

(2) – محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري، منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، ص. 242.

(3) - Victor de vita, histoire des persécutions vandales, P. 29.

(4) بيليساريوس: ويعرف كذلك بالإمبراطور الروماني الاخير او الأمبراطور جوستينيان، وإسمه الكامل هو(فلافيوس تيروس يوستينيانوس) (483–565م)، كان إمبراطورا رومانيا شرقيا، حكم منذ سنة 527م إلى غاية وفاته، في عهده توسعت الإمبراطورية الرومانية، كما يعتبر قديسا في الكنيسة الأرثودوكسية، هاجم شمال إفريقيا وهو من قام بالقضاء على الوندال في هذه المنطقة دون أن تواجهه مقاومة تذكر بسبب تحول الوندال إلى الترف واللهو من جهة وسوء العلاقة بينهم وبين المور من جهة ثانية. لمزيد من المعلومات أنظر : Louis Gabriel Michaud,op.cit; P.102.

قواده للسيطرة على قيصرية " شرشال حاليا" وآخر لاسترجاع سبتة[1]، لكن تلك الإشارات لا تدل على إلحاق الولايتين القيصرية والطنجية بالممتلكات الوندالية.

وما يدعم كل ذلك يتمثل في الإفلات للمنحدر الجنوبي للأطلس المتيجي من السيطرة الوندالية والذي كانت السيادة فيه لأمير محايد يدعى يقيمنا (Cugmena) وفقا لنقش البرواقية[2].

وخير دليلا على السيطرة الجزئية للوندال، ما نجده من تقسيم جنسريق لإمبراطوريته إلى خمسة مقاطعات تتركز كلها في المنطقة الشرقية، وهي على الشكل الآتي:

- المزاق BYZACENE.
- نوميديا NUMIDIE.
- أباريتان ABARITANE، وهي الأراضي الواقعة على أعالي مجردة إلى الشرق من تبسة.
- منطقة الجيتول JETULE التي تشمل الجريد والمناطق الجنوبية.
- زغوان[3].

يضاف إلى ذلك، أن النصوص العديدة التي تتحدث عن ممالك مغربية محلية، كانت تربطها بالوندال علاقات مختلفة سنتعرض لها في أوانها[4].

من جهة أخرى يلاحظ أنه لم يكن في مقدور الإمبراطورية الرومانية أن تقف في وجه جنسريق، إلا بعد أن زحف على نوميديا وتوغل فيها ووصل إلى عنابة سنة

---

(1) - Procopius, The wandlic war, P. 31.

(2) - Albertini (E.), Inscription Chrétienne des environs de Beronagie, dans C.R.A.I; et Belles lettres, 1925, PP. 261-263.

(3) – حول هذه الأقسام الإدارية أنظر:

- Mercier (E.), Histoire de l'Algérie septentrionale, Vol. 3, Ed. Leroux, T.1, Paris, 1888, P. 170.

(4) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 245.

430م لكنه لم يدخلها لقلة خبرته بمحاصرة المدن[1]. وهو ما جعل المؤرخين يجهلون الكثير عن مسيرة جنسريق خلال تلك الفترة من الغزو، غير أنه يبدو أن الوندال لم يواجهوا أيَة مقاومة تذكر قبل دخولهم إلى نوميديا، فيما عدا مواجهتهم لمحاولة فاشلة من بونيفاس[2].

لم يحاول جنسريق الدخول إلى سيرتا (CIRTA) وقرطاجة. لكن باستثناء هاتين المدينتين المحصنتين اللتين بقيتا في حوزة الرومان، فإنه لم يظهر أي عائق يحول دون زحف الوندال على بقية الشمال الإفريقي[3].

وهكذا، فإنه بعد حصار طويل لعنابة عقد ما يعرف باتفاقية عنابة في 11-02-435م بين الوندال والإمبراطورية الرومانية، تحصّل بمقتضاها جنسريق على امتيازات هامة، لدرجة جعلت امتزاج قومه مع الرومان يصبح واقعا مقابل أداء رمزي، وأصبح الوندال بذلك لهم حق الاستيطان في المقاطعات الموريطانية الثلاثة وقسم من نوميديا، وكانت تلك المعاهدة بمثابة الهدنة التي تمنع أي هجوم مفاجئ، لكن بعدها لم يبق أي مبرر للمهادنة توجه الوندال إلى قرطاجة إلى أن استولوا عليها من دون مقاومة تذكر في 19-10-439م[4].

من جهة أخرى، يلاحظ أنه بعد بدء جنسريق في تنفيذ تهديداته لروما اضطرت هذه الأخيرة إلى عقد معاهدة مع الوندال سنة 435 اكتفت بموجبها بالاحتفاظ بأكثر الجهات فقرا وأقلها استقرارا، أما جنسريق فقد بسط نفوذه الكامل على البروقنصلية وقرطاجة والمزاق وعلى جزء من نوميديا، ماعدا موريطانيا الطنجية التي بقيت تابعة لأسقفية إسبانيا وبقيت المراقبة مقتصرة على مضيق جبل طارق[5].

لم يكتف جنسريق بالجزء الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، بل أبحر من مدينة قرطاجة نحو الشمال، ونجح بعد ذلك في سنة 456م في ضم جزيرة سردينيا وكورسيكا

---

(1) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 326.

(2) - André Berthier, L'Algérie et son Passé, A. et J. Picard, Paris, 1951, PP. 131-137.

(3) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 326.

(4) – نفسه، ص. 327.

(5) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص. 328.

وجزر البليار ثم صقلية، واتجه بعدها شرقا نحو مهاجمته جزر البيلوبونيز ببلاد الإغريق وبعض الجزر القريبة منها[1].

لقد استقر الوندال في منطقة جغرافية محددة تشمل مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، بيزاسينا، والجزء الشرقي من نوميديا فضلا عن المقاطعة الطرابلسية، وذلك بمقتضى معاهدة 442م التي توجت بسياسة التوسع الوندالي[2]. فلم يبق للإمبراطورية الرومانية سوى السيطرة الإسمية على الجزء الغربي من تلك المناطق، التي ما فتئت أن أصبحت إما تحت النفوذ الوندالي أو مستقلة تحت سلطة الأهالي.

وهكذا يرجح أن أقصى اتساع للوندال باتجاه الغرب في بلاد المور حينذاك كان هو مدينة كويكول (Cuicul) جميلة حاليا الذي استمر إلى غاية 452م[3].

أما في الجنوب فيعتبر الأوراس هو أقصى الامتداد الوندالي، وذلك قبل بداية الثورات المورية التي توسعت باتجاه الشمال[4]، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يقدرون مساحة المملكة الوندالية بـــ 9/1 من المساحة الإجمالية للمغرب القديم أي ما يعادل 100000 كلم^2 تقريبا[5]. أنظر الخريطة شكل رقم6 ، ص74 .

(1) - Procopius, Op. Cit., PP. 53-73.
(2) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 174.
(3) - Fevrier (P.A.), Op. Cit., P. 123.
(4) - Desange (J.), Un témoignage peu connu de procope, sur la Numidi randale et Byzantine, Byzantian, T. 33, 1963, P. 55.
(5) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 215.

ثانيا: الكيانات السياسية:

1. الكيان الوندالي:

كانت اتفاقية هيبون بمدينة عنابة في شهر أفريل 435م بمثابة اتفاقية صلح بين الوندال والإمبراطورية الرومانية، حيث نصت على منح شعوب الوندال قسما من إفريقيا يستوطنون فيه، مما يدل على التعبيرا الواضح والإعتراف بالوندال من طرف الإمبراطورية الرومانية [1].

وقد تأكد ذلك بعد الاتفاقية الثانية عام 442م والتي تم الاعتراف بموجبها بسيطرة الوندال على قرطاجة التي سقطت في أيديهم بتاريخ 439/10/19م كما أسلفنا الذكر [2].

بداية من التاريخ المشار إليه آنفا، استقام الملك لملك الوندال جنسريق ولم ينازعه فيه أحد، ذلك أنه تخلص من مراقبة النبلاء بإعدام من كان أكثر اعتداءا منهم برأيه، كما تخلص من مجلس الشعب بالاعتراض عن دعوته للانعقاد، ثم عمل على ترتيب الخلافة إذ أصبح أكبر أحفاده من الذكور سنا أحق بالخلافة من دون اعتبار السلالة القريبة إليه، وذلك اجتنابا لحكم الأوصياء[3].

أما فيما يخص مهام الملك، فقد توسعت، ولم تبق كما كانت سابقا محصورة في قيادة الجيش فحسب، بل أصبح له كامل الصلاحيات رغم وجود مجلس الأعيان[4].

يفهم أيضا من بعض النصوص، أن الوندال كانوا قد وضعوا في المدن وكلاء مهمتهم المحافظة على الأمن وضمان تبعية السكان لهم[5]، وقد أسس جنسريق دولة في

---

(1) - Procopius chéron , 1339 dans M.G.H.A.A, C.9, P. 477.

(2) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 384.

(3) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 337.

(4) – مجلس الأعيان: هو مجلس يتكون من مشاهير الرجال وهو بمثابة مجلس العقلاء الذي كان يستدعيه الملك للنقاش والتشاور في بعض الظروف ولكن يفهم من بعض روايات بروكوب من أن صوت الملك أثناء أي اجتماع هو الفاصل. لمزيد من المعلومات أنظر: بروكوبيوس (Procopius I 7).

(5) - Mercier (E.), Histoire de l'Afrique Septentionale (3 Vol.), Ed. Lercris, T.1, Paris, 1888, P. 147.

شمال إفريقيا أعتلى عرشها حوالي تسعة وأربعين عاما، خلفه بعد ذلك خمسة ملوك وندالبين توالوا على الحكم بعده وهم على التوالي:

- هونريك 477م-484م.
- جونتاموند 484م-496م.
- تراساموند 496م-523م.
- هلدريك 523م-531م.
- جليمر: 531م-534م.

- جنسريق (Geiseric) (429م-477م):

لا يجد الدارس في المصادر القليلة جدا التي تتطرق إلى الفترة الوندالية ما يمكنه من رسم سيرة الملك الوندالي جنسريق، غير أن كل ما نعرفه عن هذا القائد هو أنه ابن جود جيزل (Gode gisel) أخ (غير شقيق) لجونتريك (Guntheric)، وتفيدنا مؤلفات جوردانس (Jordanes) و بروكوبيوس و مالكوس البيزنطي (Malchus le Byzantin) أنه ولد حوالي سنة 390م وتوفي سنة 477م[1].

إن النجاح الساحق الذي حققه جنسريق يجعل الدارس يلقي جانبا من الضوء على تلك الشخصية التي حولت مجرى تاريخ الشمال الإفريقي، لقد ذكر لنا المؤرخون أن جنسريق كان متوسط الطول أعرج لوقوعه من على ظهر فرسه وإصابته في ساقه، فكان راجح العقل قليل الحديث، واسع الحيلة سريع الغضب[2] كما كان رجل حرب، ذا تجربة واسعة ونشاط وحماس لا يقهر ولا يتعب، وبفضل كل هذه المواصفات التي تتوفر لديه تمكن جنسريق من اعتلاء عرش مملكة الوندال[3].

(1) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 260.

(2) - Giblan, Op. Cit., PP. 474-575.

(3) – خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، ج1، تونس، 2007، ص. 215.

لقد افترض بروكوبيوس وبعض المؤرخين الآخرين أن جنسريق كان قد تولى الحكم بعد أن قتل كل ورثة أخيه جوندريك[1] فالعادات الملكية الجرمانية تفرض على الملك أن يكون منحدرا من أسرة ملكية وعريقة[2].

كان جنسريق قد أسس نظاما سياسيا بالمغرب القديم يرتكز على شخص الملك الذي يعتبر الحاكم المطلق والقائد الأعلى للجيش وله السلطة العليا يحكم بها بين الناس، ويجبي الضرائب خلافا لما كانت عليه العادة بالنسبة إلى العديد من الشعوب الجرمانية الأخرى، كما أن اختيار الملك الوندالي كان لا يتم عن طريق الانتخاب من ضمن أعضاء مجلس المحاربين، وإنما باعتماد مبدأ القرابة التي سيسند الحكم فيها إلى أكبر أبناء العائلة المالكة سنا[3].

ولاشك في أن طريقة التعيين هذه قد أدت فيما بعد إلى العديد من الأزمات الملكية والاغتيالات التي قام بها بعض الملوك سعيا لضمان الحكم لسلالاتهم[4].

- هونريك (Huniric) (477م-484م):

بعد وفاة جنسريق، خلفه ابنه الأكبر هونريك وعمره لا يتجاوز خمسين سنة، حيث عرَّفه المؤرخون القدامى بأنه الحاكم القاسي الكبير على المسيحيين الكاثوليك[5]، والطاغية الكبير والوحش المتعطش للدماء، ولهذا خلفت سياسته ضحايا كثيرين[6].

تميز هونريك بالدهاء السياسي الحاد، رغم أن المملكة الوندالية لم تكن بنفس القوة التي كانت عليها سابقا في عهد سلفه، حيث لم يقم بأية محاولة لا للتوسع ولا للغزو[7].

(1) - Procopius, Op. Cit., P. 30.
(2) - Gauten (EF.), Genséric Roi des vandales, Payot, Paris, 1935, P. 110.
(3) – خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص ص. 215-216.
(4) - Courtois (Ch.), De Rome A l'Islam, Revue Africaine, T. 82, 1942, PP. 24-55.
(5) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 262.
(6) – محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ص. 59-60.
(7) - Courtois (Ch.), Idem , PP. 264-265.

كما كان أريوسيا متعصبا يلجأ إلى النفي والقتل للتخلص من عدد كبير من العناصر المسيحية غير الأريوسية الذين أجبرهم على اعتناق المذهب الوندالي بسبب رفضهم لذلك أحرق البعض وقطع ألسنة البعض الأخر[1].

وبنفس الأسلوب، عامل أبناء ملته وأنصارهم الذين كانوا عقبة في طريق اعتلاء ابنه عرش الملك ولذلك وصف فيكتور دي فيتا (Victor De Vitta)[2] أعماله بكشف عورات العذارى وتفننه في التعذيب[3]. لقد حاول هونريك أن يمنح بعض الحريات للكاثوليك الأفارقة لكي يكسب مساندتهم له، ولكن ونتيجة لتمردهم عاملهم بمنتهى القسوة والشدة لردعهم، لذلك لجئوا إلى الجبال وأعلنوا الثورة على دولة الوندال، إلا أنه لم يتمكن هونريك من النيل منهم في تلك المناطق الجبلية الوعرة[4].

كان هونريك قد عانى من أمراض عديدة، لذلك كانت حالته الصحية قد أثرت تأثيرا كبيرا على سلوكاته أثناء الحكم والذي اتسم بالقساوة المتزايدة، وبينما كانت موجة الاضطهاد على أشدها توفي هونريك، وقد يكون الطاعون هو الذي أودى بحياته يوم 484/12/12م.

- جونتاموند (GunThamund) (484م-496م):

بعد وفاة هونريك اعتلى جونتا موند عرش المملكة الوندالية ويرجع اختياره ملكا لكونه أكبر أعضاء أسرة جنسريق سنا[5].

---

(1) - Procope, Op. Cit., PP. 73-74.

(2) – القديس فيكتور دي فيتا: ولد في الجزء الشمالي من مقاطعة المزاق Byzacene بالقرب من القيروان بتونس حاليا، عمل بقرطاج كأحد القديسين المسيحيين، وحضر للكثير من أعمال العنف ضد الكاثوليك واضطهاد المسيحيين بقرطاج، ويعتبره البعض أحد شهود العيان المهمين في عصره ومصدر من المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها، توفي سنة 484. للمزيد من المعلومات أنظر:

- Serge Lancel, Histoire de la persécution vandale en Afrique, les Belle lettres, 2002, P.202.

(3) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص. 340-344.

(4) – محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ص. 60-61.

(5) – نفسه، ص. 61.

لم يكن جونتاموند بدون شك شخصية عنيفة، وهو ابن أخ هونريك لذلك كان أهم ما تميز به، أنه كان مرحا قليل الكلام أما من الجانب السياسي فإنه لم تكن له نشاطات سياسية أو عسكرية وبالتالي تميزت المنطقة في عهده بشبه عزلة[1].

يلاحظ أنه بعد وصول جونتاموند إلى العرش كان الكاثوليك قد عرفوا اليسر بعد العسر، حيث فتحت الكنائس من جديد ومارس الكاثوليك دينهم بكل حرية وهذا راجع للظروف السياسية آنذاك، والمتمثلة في الاعتراف الذي أطلق عليه اسم هنوتيك (Hénotique) الذي اعتبره الإمبراطور زينون (Zénon)[2] قانونا[3].

أما مع البربر ففي عهده لم يختلف حال دولة الوندال عن حال سلفه حيث اندلعت حروب عديدة بينهما لكن المصادر لم تقدم لنا تفاصيل حول تلك الحروب[4].

- تراسامونـد (Zhrasamund) (496م-523م):

طبقا لنظام الحكم الوندالي الذي يمنح حق اعتلاء العرش لأكبر أفراد العائلة سنا تلى تراسامونـد عرش مملكة الوندال بعد وفاة أخيه جونتا موند عام 496م[5].كان تراسامونـد رجلا واسع الفكر، وهو الوندالي الوحيد الذي أعطى قيمة للقيم الإنسانية، ولم يكن متسلطا، كان يفضل المكافئة على المعاقبة. بعيدا عن وسائل التعذيب يكتفي بإبعاد أعداءه دون اللجوء إلى معاقبتهم[6].

وفي هذا الصدد، يذكر المؤرخ شارل أندري جوليان النص التالي: "... رغم أن الوندال لم يكن لهم أدب ولكن شغف الأمير بشؤون الفكر بعث في أوساط الرومان نشاطا شعريا لا تزال المختارات اللاتينية تحتفظ لنا بآثاره في مقطوعات تتناول

---

(1) - Courtois, Op. Cit., PP. 265-266.

(2) – زينون: هو القيصر فلافيوس زينون (Flvius Zenon) إسمه الأصلي "تاراسيكوديسا– Tarasicodissa " (424– 491م) كان أمبراطورا رومانيا شرقيا، حكم في الفترة الممتدة بين (474– 491م) يعد من أبرز الأباطرة= =البزنطيين الأوائل، ترأس النهاية الرسمية للأمبراطورية الرومانية في الغرب، وساهم في استقرار الأمبراطورية في الشرق. ولمزيد من الإيضاح انظر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة: .WWW. Wikipedia.org

(3) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص. 344–345.

(4) - Procope, Op. Cit., PP. 74-75.

(5) - Procope, Op. Cit., P. 75.

(6) – محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ص. 61–62.

الأحداث اليومية... "[1].كما لم يكن أريوسيا شديد التمسك بدينه فحسب، بل كان يتحلى بنبل الأخلاق لدرجة أنه استطاع استمالة الكاثوليك بتكريمهم والإحسان إليهم ومنحهم الألقاب الشرفية[2].

أما فيما يخص العلاقة الوندالية بالبربر في عهده، فقد تصدى الوندال للكثير من الهجومات البربرية التي أصبحت أشد قوة من المراحل السابقة[3]. ولعل أكبر خطر واجهه تراسامونـد هو خطر الجمالة الرحل الذين انطلقوا من طرابلس معتمدين على أسلوب الكر والفر.

وفيما يخص الحرب بين الطرفين، ذكر بروكوبيوس بأن الذي قاد حرب الجمالة الرحل ضد الوندال هو القائد كاباون (Gabaon)[4] الذي هزم الوندال في الحروب التي دارت بين الطرفين في المناطق الممتدة بين قرطاجة وطرابلس[5].

- هلدريك (Hildric) (523م-531م):

بعد وفاة تراسامونـد الذي حكم دولة الوندال سبعة وعشرون سنة خلفه على العرش هلدريك وهو ابن هونريك بن جنسريق[6].

لقد كان هلدريك شيخا متخنثا سلك في السياسة مسلكا جديدا، حيث سمح برجوع القساوسة المنفيين واستعادت قرطاجة بذلك مكانتها الدينية القديمة[7]. كما أنه كان ملكا مسلوب الشخصية، يفتقد لشجاعة الرأي والجرأة، ذو شعور روماني أكثر منه وندالي تحول إلى الديانة الكاثوليكية لكون أمه رومانية[8].

---

(1) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 346.

(2) – نفسه، ص. 344.

(3) – محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص. 62.

(4) – غابون: (Gabaon) هو أحد القادة الأمراء البرابرة المعروف بالذكاء والقوة كان يقود البربر الجمالة الرحل في المنطقة الممتدة من طرابلس الحالية إلى غاية قرطاج وقد شهد الجيش الوندالي انهزامه على يد ذلك القائد الذي كان يراقب كل تلك الظروف التي كانت تربط قرطاج بطرابلس لمزيد من الإيضاح. أنظر: Courtois (CH), OP.Cit, PP.49-50.

(5) - Gauten (EF.), Genséric Roi des vandales, Payot, Paris, 1935, PP. 292-293.

(6) - Procopius, Op. Cit., P. 85.

(7) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 349.

(8) - Courtois (Ch.), Op. Cit., PP. 267-268.

كما كان يفتقد لكل الأوصاف والمهارات العسكرية ويكره التكلم في المسائل العسكرية، لم يكن هلدريك معاديا للعناصر غير الأريوسية على عكس أسلافه حيث كان مسالما غير محب للحروب[1].

استطاع أن يكوّن مع الإمبراطورية البيزنطية علاقات ودية غير أنه على العكس من ذلك فإن علاقته مع المور كانت سيئة نتيجة لتحالفهم مع القوط الشرقيين في إيطاليا الذين لعبوا دورا كبيرا في الثورات التي قام بها المور ضد الوندال[2]. وهو الأمر الذي جعل البربر الموريون يبسطون نفوذهم على الموريطانيتين الطنجية والقيصرية، باستثناء عاصمة هذه الأخيرة، وموريطانيا السطايفية ونوميديا الجنوبية ثم هاجموا جنوب المزاق (Byzacene) التي تعد أهم الإمارات المورية، والتي سنعود للحديث عنها في الصفحات الموالية[3].

- جليمر (Gulimer) (531م-534م):

قام الجيش بعزل الملك هلدريك في شهر ماي 531م فاستولى جليمر على الحكم بمساعدة الرأي العام[4]. لقد كان ذلك الملك الوندالي يكن الحقد والعداوة للإمبراطورية البيزنطية التي تحالفت مع الفرس سنة 532 وقررت إشعال نار الحرب في إفريقيا[5].

ووفقا لما ورده المؤرخ كورتوا فإن جليمر كان يوصف بالطاغية[6]، أما بروكوبيوس فقد وصفه بالماكر ورجل المفاجآت[7]، وما يؤكد هذين القولين قدرة جليمر على جمع الثروة والمال وإهمال شؤون المملكة الوندالية[8] ويكفي أنه في عهده كانت نهاية الوندال.

---

(1) – محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ص. 65-66.

(2) - Procope, Op. Cit., P. 85.

(3) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 269.

(4) - Zacharias of Mitylene, Syriac chronicle, Trad F.J. Hamilton, London, 1899, P. 262.

(5) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص. 350-351.

(6) - Courtois, Op. Cit., P. 269.

(7) - Procopius, Op. Cit., P. 87.

(8) - Baker (G.), Justinian, London, 1932, P. 74.

2.الكيانات السياسية المورية:

تميزت الفترة الوندالية لاسيما تلك التي تلت وفاة الملك الوندالي جنسريق ببروز وتبلور العديد من الكيانات السياسية في شمال إفريقيا وذلك في شكل إمارات أو ممالك مورية صغيرة، كان لها التأثير البالغ على الأحداث السياسية، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي لكن ما يجب تسجيله هو أن الفترة التي شملها القرن الخامس، هي مرحلة تقهقر الحضارة الرومانية وانكماشها. وبالتالي، فإن الباحث في تلك الفترة يكشف النقص الكبير في الكتابات التي تطرقت لها، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن الوندال لم يولوا كذلك اهتماما كبيرا للكتابات، وخاصة المتعلقة بالمجالات السياسية والاجتماعية. كذلك، أن أغلبية الباحثين الذين تناولوا أحداث تلك الفترة هم كتاب غربيون اهتموا بحياة أجناسهم وتأثيراتها على بلاد المغرب القديم، ولم يهتموا بتاريخ المنطقة بما فيها العنصران الأجنبي والمحلي معا، ضف إلى ذلك الرؤية العدائية التي تميز بها أغلبية المؤرخيين الغربيين اتجاه المغاربة القدماء.

لقد حاولنا جمع الأحداث التي أوردتها المصادر والمراجع والتي ركزت أبحاثها على الصراع بين العنصرين الأجنبي والمحلي من أجل إبراز بعض الإمارات التي وصلت إلى الدارسين اخبارها أكثر من غيرها، وقد تمثلت تلك الإمارات في كل من :

أ-الإمارة الصحراوية الطرابلسية

ب-إمارة المزاق

ج-مملكة الأوراس

د-المملكة الموريطانية

أ. الإمارة الصحراوية الطرابلسية:

تتشكل المناطق الطرابلسية من العديد من القبائل الضاربة في المنطقة وقد أجمع المختصون على أن أكبرها هما قبيلتا لواتة وهوارة الشهيرتان، اللتان تشكلان مصدر خطر ومتاعب للأمبراطورية الرومانية[1]، كما كانتا أيضا من المناوئين للوندال وهي من بين الأطراف التي تسببت في عدم استقرارهم بعدما ضاعفت تلك القبائل من تحركاتها[2].

ويجمع أغلب المؤرخين على أن تلك القبائل الصحراوية المتنقلة التي كانت تعيش حياة البداوة، وتستعمل الجمال في تحركاتها ومعاركها وتتنقل بأطفالها ونسائها حتى في أوقات الحروب[3]، كما يصفهم "ج.كامبس" Camps.G " القبائل المشار إليها آنفا "بأنها دائمة الترحال تمتلك الجمال مما يخول لها التنقل عبر مسافات كبيرة على تخوم الصحراء... "[4].

أما عن أصول قبيلتي لواتة وهوارة، فيعتقد أنهم كنعانيون تحركوا من فلسطين نحو المناطق الغربية، باتجاه غرب النيل نتيجة الظروف السياسية غير المستقرة في فترات سابقة[5]، وبما أن ظاهرة الترحال والرعي عرفت تطورا ملحوظا بعد القرن الرابع الميلادي، فإن تلك القبائل عرفت اتساعا في مجال تحركها دون وجود هجرات سكانية منتظمة[6].

لقد سكنت القبائل الطرابلسية الرعوية حيزا جغرافيا واسعا وغير مستقر نتيجة ظاهرة الترحال المتواصلة، لكن ما يهمنا هنا هو فترة تواجد الوندال في بلاد المغرب. بناءا على ما سبق، فإن أغلب البحوث تؤكد كذلك أن القبائل الصحراوية، كانت قد

(1) - Ammien Marcellin, Histoire, éd. Trad. M.A. Marie, Paris, 1984, P. 12.

(2) - Fevrier (P.A.), Approche du Maghreb Romain, éd. Sud, 1989, P. 150.

(3) -Tauxier (H.), Etude sur les migrations des migrations des tribus Berbères avant l'islamisme, dans Rev. Afr ; T.6, 1982, PP. 353-363.

(4) - Camps (G.), Berbères aux marges de l histoire, éd. des espérides, Toulouse, 1980, P. 125.

(5) – ابن عبد الحكم، فتوح مصر وإفريقيا، تحقيق عبد الله انيس الطباع، بيروت، 1964، ص. 229.

(6) - Moderan (Y.), OP. Cit., PP. 1964-1965.

تمركزت في المناطق الطرابلسية وإلى الغرب منها كذاك، واستمرت على ذلك حتى بداية مرحلة الفتوحات العربية الإسلامية[1].

وقد وصفت مناطق تحرك القبيلتين المشار إليهما بأنها تلك المناطق الداخلية السهبية والجبلية التي تحررت من مراقبة الإدارة الرومانية في الفترة الوندالية، وكانت لها علاقات متينة مع القبائل الصحراوية مثل الجيتول والغرامنت القاطنتين إلى الجنوب.

[1] – إبن خلدون، المرجع السابق، ص ص. 235–236.

ب. إمارة المزاق:

تتميز مقاطعة المزاق (Byzacène) في تاريخ بلاد المغرب القديم بأنها من المقاطعات الهامة، التي ظلت دوما ضمن النطاق الإستعماري الروماني نتيجة ثرائها الإقتصادي وتنوع مصادر خيراتها، فضلا عن نشاطها الديني البارز[1]. لقد شملت تلك المقاطعة شمال وغرب نهر المجردة وسفوح جبال الظهير التونسي، وامتدت إلى الجنوب على بعد حوالي 65كلم غرب مدينة قفصة[2]، ولقد كان للقائد أنطلاص (Antalas) دور كبير في جمع العديد من القبائل الصحراوية من جهة، ومحاربة الوندال وتلقينهم الهزائم تلوى الأخرى[3].

ويبدو أن إمارة انطلاص هذه كانت إمارة صغيرة، مع بداية القرن الخامس الميلادي، إلا أنها مع نهاية الفترة الوندالية تحولت إلى إمارة قوية مهابة، بفضل ما اتخذه أميرها من مبادرات جعلت العديد من القبائل تلتف حولها[4].

ج. مملكة الأوراس:

يصف بروكوبيوس منطقة الأوراس بأنها تتميز بثلاثة مواصفات أساسية متكاملة، فهي مرتفعات مناهضة لمن يحاول دخولها لأول مرة، وهي نعيم لمن يعيش بها أو يعبرها مسالما، إلا أنها ضد العدو الذي يهاجمها، توفر لسكانها مناطق ومواقع دفاعية متعددة[5].

(1) - Despois (J.), La Tunisie orientale, sahel et basse steppe, P.U.F., 1955, Paris, P. 126.

(2) - Lepelley (C.), Peuplement et richesse de l'Afrique Romaine Tardive -Réalités Byzantines "Homme et Richesses dans l'empire Byzantin, IV-VII, Paris, 1989, P. 26.

(3) - Lassère (J.M.), La Byzacène Méridionale au milieu du VI, S.P.C., d'après la Johannide de Corippus Pallas, Revue d'études Antiques, T. XXXI, Montpellier, 1984, P. 177.

(4) - Courtois (C.H.), OP. Cit., P. 347.

(5) - Procope, B.V., II, PP. 13-23.

لقد اختلف الكثير من الباحثين في تحديد الحيز الجغرافي لمملكة الأوراس في العهد الوندالي، وحسب المؤرخ بروكوبيوس فإنها لا تتجاوز السلسلة الجبلية الأوراسية[1]، بينما يرى المؤرخ ديزانج (Desanges) بأن المملكة كانت تتوضع هي جزء من السلسلة الجبلية الأوراسية[2]. أما مريزو (P.Morizot) فيحددها في ذلك الجزء من جبال الأوراس المنحصرة جنوب شرق خنشلة[3]، ولكن الأرجح في تحديد الإطار الجغرافي لتلك الكتلة الجبلية هو ما قدمه بروكوبيوس، وهذا ما يؤكده موديران (Y.Moderan)[4]، الذي يدعم رأيه ما أشار إليه غوتيي (E.F.Gautier) في كتاباته. فالإمارة حينئذ، تشمل كامل السلسلة الجبلية الممتدة من الحضنة غربا حتى مرتفعات النمامشة شرقا[5].

يبدو ومن خلال الكتابات التاريخية أن الإمارة المشار إليها كانت من أشد الخصوم للوندال، حيث أنها زعزعت كيانهم في الفترة الأخيرة من وجودهم بالمنطقة. وفي هذا الصدد، كتب بروكوبيوس ما يلي:

"... وفي تلك الفترة قام المور القاطنون جبال الأوراس، بالثورة على الوندال، وأصبحوا مستقلين..."[6]. من أهم زعماء وثوار تلك المنطقة نذكر يوداس (Iaudas) الذي ولد في جبال الأوراس وكان من أكبر القادة الموريين الأوراسيين الذين دافعوا عن المغرب القديم ضد الاحتلال الوندالي والبيزنطي، وقد قدر بعض المؤرخين بأنه كان على رأس جيش يصل عدده إلى حوالي 30.000 رجل[7].

(1) - Courtois (C.H.), OP. Cit., P. 341.
(2) - Desanges (J.), "Témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandale et byzantine", Byzantions, T. 33, PP. 47-68.
(3) - Morizot (P.), Pour une nouvelle lecture de l'elogium de Mastre, Ant. Afr., T. 25, 1989, P. 279.
(4) - Moderan (Y.), Op. Cit., P. 323.
(5) - Gautier (E.F.), Le passé de l'Afrique, les siècles abscures, Paris, 2ème éd;1952, P. 256.
(6) - Procope, B.V.I., PP. 5-8.
(7) - Courtois (C.), Op. Cit., P. 325.

د. المملكة المورية:

لقد نتج عن تقهقر السيطرة الرومانية في بلاد المغرب القديم بروز زعامات مشكلة إمارات حقيقية، أصبحت تعتبر نفسها مسؤولة ليس فقط على أقوامها من المور، بل كذلك على مجتمع المدن بما فيه من أفارقة ورومان[1]، وتعد مملكة مازونا (Masuna) أهم الإمارات الموريطانية، حيث وجدت العديد من الآثار المادية والمعنوية التي أكدت وجودها في الفترة الوندالية مثل النقيشة الحجرية، التي عثر عليها في (أولاد ميمون) وأضرحة الجدار بالقرب من تيارت[2].

إن كل المعطيات المشار إليها آنفا، تؤكد أن تلك الإمارة المورية كانت قد وجدت في عهد الملك الوندالي تراسموند، بناء على المقارنة التي قام بها المؤرخ فيفري (J.P. Fevrier) بين نقيشة أولاد ميمون ونصوص أخرى خاصة بالإمبراطورية الرومانية[3].

أما عن تحديد الإطار الجغرافي لتلك الإمارة، فقد ساعدتنا عنه تلك النقيشة المشار إليها آنفا ولو بشكل غير دقيق، فمدينة ألتافا معروفة بأولاد ميمون الواقعة على بعد 25كلم شرق مدينة تلمسان، حيث كانت تشكل عاصمة تلك الإمارة[4]، أما بقية المدن مثل سفار وسفريانة فهي تحيط بالعاصمة. وحسب كامبس، فإن مدينة سفريانة التي تقع في شرق العاصمة ألتافا[5]. أنظر الخريطة رقم 07، ص 88.

---

(1) - Camps (G.), Rex Gentium Mauroum et Romanoroum, Recherche sur les royaumes de mauretanie des VI et VII siècle, Ant. Afr., T. 20, 1984, P. 188.

(2) – يحتوي نص النقيشة حسب ترجمة محمد البشير الشنيتي: " من أجل صحة ودوام مازونا ملك شعب المور والرومان شيدت هذه القلعة على يد مسيغيبا حاكم سفار عندما كان إيدير وكيلا على قلعة سفريانا وهما اللذان أمرا مازونا بإلزامهما إلى ألتافا".

وتوجد هذه النقيشة الآن بمتحف وهران، لمزيد من الإيضاح أنظر إلى محمد البشير الشنيتي، موريطانيا القيصرية، دراسة حول الليمس الموريتاني، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1991–1992، ص 201.

(3) - Février (P.A.), Masuna et Masties, Ant. Afr., T. 24, 1988, PP. 135-38.

(4) – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص ص. 463–464.

(5) - Camps (G.), Berbères aux marges de l'histoire, PP. 125-128 ; 133.

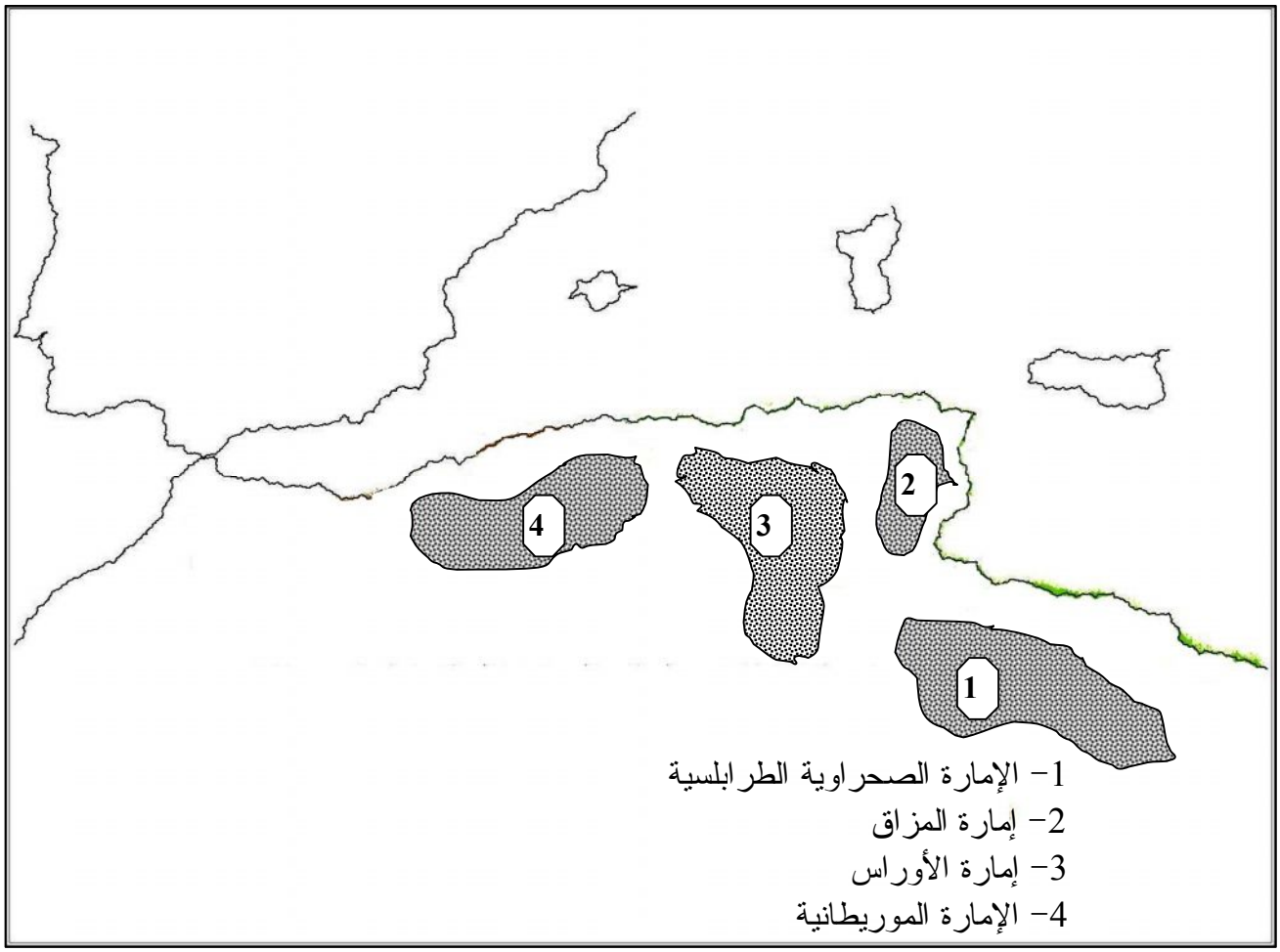

الخريطة رقم 07 : الكيانات السياسية المورية أثناء الفترة الوندالية

المصدر : يوسف عيبش، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في بلاد المغرب أثناء الإحتلال البيزنطي، أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ والآثار، سنة (2007، 2008)، ص. 553.

ثالثا – موقف المور من الغزو الوندالي:

لقد تميزت مواقف المغاربة القدماء من الوندال بفترتين مختلفتين، فالأولى تمثلت في فترة الملك جنسريق التي سادها التعاون بين الطرفين، وخير دليل على ذلك مشاركة المور أي المغاربة القدامى في الحملة على روما سنة 455م، وذلك اعتمادا على ما يذكره فيكتور دي فيتا[1]، كما شاركوا في كل الحملات الموالية، حيث أوكلت لهم مهمة الدفاع عن سردينيا، وهذا ما يبرهن وبطريقة غير مباشرة في نظر كورتوا على الوفاق بين الطرفين[2].

أما الفترة الثانية فهي تلك التي تلت وفاة جنسريق، حيث يمكننا التسليم عموما مع صاحب"حرب الوندال"[3]، أن الظروف كانت قد تغيرت، وبدأت ثورات الأهالي بدون هوادة منذ فترة ملكهم هونريك الذي جعل المور يدخلون في حرب ضد الوندال من أجل إخراجهم من إفريقيا أو القضاء عليهم نهائيا، وكانت تلك الحروب قصيرة ومتتالية على سواحل طرابلس والمناطق المنخفضة من المزاق وجبال الأوراس وفي السهول العليا في الجنوب وفي الشمال الغربي والشرقي، وذلك من أجل الحصول على الاستقلال الذاتي[4].

وفي المقابل، كان على الوندال وقف ذلك الخطر اللامتناهي ووضع حد لمشاريع المور، لكن الرياح كانت تهب في المنطقة لصالح المور، ذلك أن الوندال لم تكن لهم فرق عسكرية كثيرة، ضف إلى ذلك أن تلك الفرق كانت متمركزة في ولايات الملك. وعليه، فإنه إذا ما تقدم الوندال لمحاربة المور، سوف يتراجع هؤلاء الأخيرين إلى المناطق الصحراوية أو الجبلية العالية، التي لا يستطيع الوندال اختراقها. وبالفعل فإنه فور تراجع الوندال، هاجم المور الحدود الوندالية على مساحات بعيدة وكانوا أكثر عددا من الوندال، وكان التكتيك العسكري للمور الشرقيين ينتهي دائما بالانتصار، ونفس

(1) - Victor (CH.), D'après Courtois, Op. Cit., P. 232.
(2) - Courtois (CH.), Op. Cit., P. 189.
(3) - Procope, I, 8.
(4) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 246.

الشيء بالنسبة للمور الغربيين، حيث كانوا يحسنون ركوب الخيل أكثر من الوندال وهو ما جعلهم يستطيعون التغلب عليهم في نهاية المطاف[1].

وعلى أية حال، فإذا كانت دولة الوندال قد آمنت شر الإمبراطورية الرومانية في الغرب بعد سقوطها ومثيلتها البيزنطية في المشرق لمشاغلها الداخلية، فإن مشاكل الوندال كانت قد أتت من قبل العناصر البربرية في الشمال الإفريقي، الذين ثاروا وهاجموا الممتلكات الوندالية منذ عهد جنسريق، ونظرا لكثرة ثوراتهم سنكتفي بالتعرض إلى أهم الثورات والمتمثلة في ثورات الأوراس والجمالة ثم ثورة أنطلاس[2].

1 . ثورة الأوراس:

لقد خلف جنسريق ابنه هونريك الذي لم يكن مثل سلفه، حيث أنه لم يعامل البربر بنفس المعالمة التي عاملهم بها والده، لهذا ثار عليه سكان الأوراس سنة 488م الذين لم يستطيع الوندال إخضاعهم، ولم يحاول الجيش الوندالي صعود جبالهم في الوقت الذي استطاع هؤلاء زعزعة سيطرة الوندال[3]، لا لأنها خطيرة وقوية، بل لأنها كانت أول ثورة في المناطق الخاضعة للوندال، وبالتالي كانت بمثابة الشرارة الأولى للثورات الموالية[4]، هذا من جهة ومن جهة ثانية، فإن ثورة الأوراس تعد حدثا أساسيا في مملكة الوندال، لا لأنها مست الوندال في قوتهم الأساسية، ولا لأنها سببت لهم هزيمة عسكرية كبرى، بل لأن معها تبدأ بالظهور في المناطق الخاضعة للوندال تلك الممالك التي راحت تنمو في إفريقيا المستقلة عن الوندال[5]. أثناء تلك الثورة، نزل سكان الأوراس إلى السهول واستولوا على الكثير من المدن منها مدينة تبسة (Theveste) وتيمقاد (Thamgadi)، وقصر باغاي (Bagai)، ولمباز (Lambes) ولم يقف سيلهم إلا على حدود سيرتا (Cirta) قسنطينة حاليا، كما أن تلك الثورة

(1) - Marcus (CF.), Histoire des vandales, 2ème éd. Paris, 1838, P. 311.

(2) - Idem, PP. 112-113.

(3) – محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص ص. 59–60.

(4) - Gautier (CF.), Genseric roi des vandales, Payot, Paris, 1935, P. 282.

(5) - Martrove (F.), Genséric la conquête vandale en Afrique, Paris, 1907, P. 333.

تجاوزت حدود نوميديا واستولى المور على موريطانيا ونهبوها ثم قتلوا الكثير من الكاثوليك والوندال[1].

كان المور الأوراسيون خلال تلك الثورة تحت قيادة يابداس (Iabdas)[2]، ومما يدل على أهمية تلك الثورة ما ذكره بروكوب من أن عدد جيشه بلغ أكثر من 30.00 محارب، وأكثر من ذلك أن هذا الملك استطاع أن يعقد تحالفات مع بعض ملوك المور الآخرين في إمارات أخرى[3].

2- ثورة الجمالة:

إن عدم تمكن الوندال من التصدي والقضاء على ثورة الأوراس كان عاملا بلا شك مشجعا لباقي القبائل على الثورة ضدهم، وعلى ذلك اندلعت ثورة قبائل الجمالة التي انحدرت من جبال نفوسة وطرابلس بقيادة كاباون (Cabaon) وذلك في عهد تراسموند. حيث بدأت المعركة في أواخر حكمه إذ اتخذ إجراءات الهجوم ضد كاباون وبالضبط، فقد جرت المعركة الأولى في الطريق الواصل بين الولايات القرطاجية وطرابلس، حيث اصطدمت جيوش تراسموند بالخطة الحربية الجديدة التي طبقتها قبائل الجمالة، والتي تعتبر مصدر قوة الجمالة، معتمدة في ذلك على الكر والفر واللجوء إلى الصحراء، لاستجماع القوة عند الضرورة[4].

وكان المؤرخ بروكوبيوس قد ذكر وصفا كاملا للإستراتيجية العسكرية التي اعتمدها "كاباون" ذلك بعد التطرق للاستعدادات التي قام بها والنصائح التي وجهها إلى أتباعه والمتمثلة فيمايلي:

- أصدر أوامر لأتباعه بالابتعاد عن كل تعسف، وأن يحسنوا التصرف.

- شكل هو ورجاله سورين من الرجال عسكر هو ورجاله في إحداهما ووضع النساء في الأخر.

---

(1) - محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص. 246-247.

(2) - Gautier (EF.), Op. Cit., P. 283 ; CH. A. Julien, Op. Cit., PP. 347-348.

(3) - Procope, Op. Cit., PP. 12-13.

(4) - Cornevin Robert, Histoire de l'Afrique des origines aux XVI siècle, Payot, Paris, 1969, P. 130 ; Mahfoud Kaddache, L'Algérie dans l'Antiquité SNED, 1972, P. 207 ; Gautier, Op. Cit., P. 292 ; CH. A. Julien, Op. Cit., P. 348.

– أرسل عيونا إلى قرطاجة بهدف مراقبة الوندال في كل تحركاتهم ذهابا وإيابا وأعطى تعليمات دقيقة بضرورة احترام السكان، وهكذا تمكن غابون من مراقبة الجيش الوندالي في مسيرته اتجاه طرابلس[1].

ولما عسكر الوندال في أول يوم استعملوا المعابد كحضائر لحيواناتهم وعذبوا الرهبان والقساوسة، وبمجرد رحيل الوندال من هناك قام الجواسيس من رجال كاباون بعمل ما أومرو به فنظفوا المعابد وقدموا المساعدات للرهبان ثم واصلوا تعقب جيش الوندال، وما إن اقترب الوندال من المور حتى سبقهم الجواسيس وأخبروا قائدهم "كاباون" بما فعله الوندال فتم الاستعداد الكامل للحرب على النحو التالي:

لقد خط كاباون في السهل الذي كان ينوي الانسحاب إليه دائرة، ووضع عليها جمالة حسب شكل منحني الدائرة يتركب من جهة العدو من إثنى عشر جملا، اصطفهم الواحد وراء الآخر. أما مركز الدائرة، فقد وضع فيه الأطفال والنساء ثم الشيوخ وأموال القبيلة، وانتصب الرجال القادرون على حمل السلاح تحت بطون الجمال ليتخذونهم كدروع لحماية أنفسهم[2]، ولم يتمكن فرسان الوندال الذين تعودوا القتال بالرماح والسيوف من دفع خيولهم إلى الأمام. ذلك أنها كانت تتراجع بسبب رائحة وصراخ الجمال.

وأمام عجز الوندال عن استخدام النبال والأقواس التي لم تكن من أسلحتهم، وهروب الخيول من منظر الجمال كان قد أذهل الوندال الذين لم يعرفو كيف يتصرفون في ذلك الموقف الجديد، بينما ترصدهم رجال "كاباون" المختفون وراء جمالهم وهم يرمون العدو بالسهام. وبتلك الطريقة تمكنوا من قتل وجرح عدد هام من الجيش الوندالي.

وهكذا عندما شرع هؤلاء الوندال في الفرار والتشتت، خرج المور على إثرهم يأسرون ويقتلون، وبذلك تعرض الوندال للهلاك ولم ينج منهم إلا القليل. وقد برهنت

---

[1] – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص. 62–63.

[2] – علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، مصراته، 1967، ص ص. 231–234.

طريقة الحرب تلك بدورها على عجز الوندال أمام خطر تلك القبائل الزاحفة نحو الغرب [1].

3. ثــورة أنطــلاس:

إذا كان المور في الموريطانيات الثلاثة لم يكونو في حاجة إلى ثورات نتيجة غياب السلطة الوندالية في المنطقة وسيطرة الأهالي عليها، وهو الشأن ربما بالنسبة لنوميديا، فإن الأمر يختلف في منطقة المزاق التي كانت تخضع لحكم الوندال، والتي ثار سكانها في عهد هونريك تحت قيادة قائدهم وملكهم أنطلاس الذي كون مملكة مع أبيه قنيان (Guenean) في حوالي 510م والتي كانت أكثر خطورة على الوندال[2].

لقد هاجم أنطلاس الجنوب التونسي وصاحب في زحفه كل أنواع الدمار من حرق وقتل وكان على هونريك حماية سكان المنطقة من النهب فوضع على رأس قيادة الجيش حفيده هومر (Hoamer)[3]، الذي لم يستطع الصمود أمام المور بالرغم من خبرته العسكرية وقوته، حيث هزم أمام أنطلاس الذي سيطر على المدن الواقعة على سواحل المزاق [4].

والجدير بالذكر، أن انطلاس كان قد تحالف مع ثيودريك (Thioderic) ملك القوط وشقيق "أمالافريد" (Amalafride) زوجة تراسمون التي لم تعترف بهلدريك كملك على العرش الوندالي، ولكن الظروف لم تساعده للقيام بهذا العمل. كما تحالف أنطلاس أيضا مع مور طرابلس وصبَوا غصبهم على كل من مدينة لبدة (Leptis-Magna) وصبراته وأويا. ورغم المحاولات العديدة التي قام بها جليمر لمحاربة القبائل التي انتصرت على هومر لكن دون جدوى، اضطر لعقد صلح معهم وأثناء تلك المرحلة بدأ التدخل العسكري البيزنطي، بقيادة جوستينيانوس(Justinianius) في

(1) - Courtois, Op. Cit ; P. 350; Gautier, Op. Cit., PP. 292-293; CH.A.J., Op. Cit., P. 349; Martrove (F.), Op. Cit., P. 221.

(2) – اتفق جل المؤرخين على اسم Hoamer قائد الفرق الوندالية الواقفة أمام هجومات انطلاس ما عدا كورثوا الذي أطلق عليه اسم هلديمي (Hildimi)، لمزيد من الإيضاح أنظر:., Courtois (Ch)OP. Cit,P.343

(3) - Courtois, Op. Cit, P. 343.

(4) - Marcus, Op. Cit., P. 349 ; Martrove (F.), Gensric, La conquête vandales en Afrique et la destruction de l’empire de l’occident, Paris, Hachette, 1907, P. 215 ; CH. A. Julien, Op. Cit., P. 350.

إفريقيا الذي أطلق عليه الكثير من المؤرخين اسم المشروع الضخم الذي كان ينوي جوستينيانوس إنجازه، والمتمثل في عملية استرجاع الإمبراطورية الرومانية إلى ما كانت عليه قبل غزو الشعوب الجرمانية لشمال إفريقيا كسيادتها[1].

رابعا- نهاية الوندال

في خضم تلك الثورات، كانت الإمبراطورية الرومانية في وضع لا يساعد على التفكير في محاربة دولة الوندال بسبب مشاكلها الداخلية، والتي تمثلت أساسا في الصراع على السلطة، ولهذا، فدولة الوندال قد آمنت شر الإمبراطورية في الغرب بعد سقوطها[2].

لقد تفرغت والإمبراطورية البيزنطية لمشاغلها الداخلية[3]، غير أن ذلك التقارب الذي حدث لهم مع الوندال وتحسن العلاقة بينهم إلى درجة كبيرة لاسيما في عهد هلدريك، نتج عنه علاقة كانت آثارها بعيدة المدى، كان في مقدمتها التقارب بين قرطاجة والقسطنطينية[4]. إلا أن اعتلاء جليمر آخر ملوك الوندال الحكم كان قد شكل معارضة كبيرة ووقف رغم محاولات الدولة البيزنطية وحمايتها لذلك التقارب في ربط العلاقات السياسية مع جليمر[5]، إلا أنه بعد التهديد والوعيد المتكررة يأس البيزنطيون من تحسن العلاقات مع الملك الوندالي وبذلك أعلنوا الحرب ضده. وفي هذا الصدد سجل جليمر قائلا:" إذا أعلن جوستنيان[6] الحرب على الدولة الوندالية، فإن الوندال سوف يقاومون العدوان بكل ما لديهم من قوة"[7].

عدَ خطاب جوستينيان تصريحا وإعلانا رسميا على اندلاع الحرب بين الوندال والبيزنطيين، أو على الأقل عدوانا من جانب الوندال، أما بالنسبة للبيزنطيين فتعد

(1) - Procope, Op. Cit., PP. 73-75.
(2) - Bury, Op. Cit., P. 85.
(3) - Zacharias of Mitylene, Syriae Chroniche, Trad, F.J. Hamilton, London, 1899, P. 87.
(4) - Baker (G.), Justinian, London, 1932, P. 57.
(5) - Procope, Op. Cit., PP. 89-90.
(6) – محمد سعيد عمران، المرجع السابق، ص. 68.
(7) - Zacharias of Mitylene, Op. Cit., P 261.

الهدنة التي وقعوها مع الفرس عام 532م بمثابة بداية للتفرغ للقضية الوندالية[1]. وهكذا يبدو أنه اجتمعت عدة عوامل لدى البيزنطيين للقضاء على المملكة الوندالية لعل أهمها:

أ-الهدنة التي عقدت مع الفرس والتي سمحت للبيزنطيين بالتفرغ لحل المشكل مع الوندال.

ب- أثر الثورات البربرية التي أضعفت شوكة الوندال.

ج- تشجيع رجال الدين للإمبراطور البيزنطي جوستنيان لضرب الديانة الأريوسية.

د- التمرد الذي انتشر في مملكة الوندال خارج بلاد المور أمثال جوداس (Goodas)[2].

أمام تلك الأوضاع المتردية جمع الإمبراطور جوستنيان جيشا كبيرا تشكل من ستة عشر ألف من المشاة وخمسة عشر ألفا من الفرسان جعل على رأسهم إثنين وعشرين قائدا وضعهم تحت إمارة القائد الرئيسي بلزاريوس.

والملاحظ أن تلك هذه الثورات التي كانت قد اندلعت ضد الوجود الوندالي في شمال إفريقيا، ورغم خطورة البعض منها وامتدادها الزمني، كان ينقصها التنسيق، وكانت متفرقة، ولو توحدت كلمة الملوك الأهالي، زيادة على الضعف الذي كان ينتاب الوندال، كما ترك المغاربة المجال للتدخل البيزنطي لإنهاء الوجود الوندالي في المنطقة، وهو مايجعل الدارس يستنتج أن تلك الثورات كانت قد ساهمت بدون شك في إضعاف الوندال وسهلت بالتالي مهمة البيزنطيين في إفريقيا.

من أخرى يلاحظ أن تلاحم القوات العسكرية بين الوندال والمور في عهد الملك جنسريق لم يكن سوى تلاحما سطحيا فرضته ظروف سياسية واجتماعية، تمثلت في رد الفعل على الضغط الروماني من جهة، وتدني حالة الفرد الموري الاجتماعية. من

---

(1) – يوداس قوطي الأصل كان يحكم جزيرة سردينيا التي كانت تحت حكم الوندال، أعلن انفصاله عن دولة الوندال،بغية الاستيلاء على الجزيرة ولمزيد من الإيضاح أنظر: Baker (G.), Op. Cit., P.103. –

(2) - Ostrogorsky, History of By..antine state, Oxford, 1956, P.42.

جهة أخرى، فإنه بمجرد وفاة الملك جنسريق بدأ الصراع الذي كان قد اشتد بين القوتين الوندالية والبيزنطية.

كما يمكننا القول أن التحالف الذي حدث بين الوندال والأهالي في مراحله الأولى كان من دواعيه أيضا الاضطهاد الديني والاقتصادي والاجتماعي الذي عانى منه الأهالي في ظل سياسة الرومنة، لذلك سرعان ما أنقلب المور على الوندال بعدما تأكدوا أن هؤلاء الأخريين لا يختلفون كثيرا عن الرومان في مجال السيطرة وامتصاص خيرات المنطقة.

من خلال كل ما ذكر، نستنتج أن الوندال أثناء تواجدهم في بلاد المور كانوا واجهوا العديد من الصعوبات والمشاكل، فبالإضافة إلى صعوبة المسالك الطبيعية واجه الوندال العديد من القبائل المحلية وعدة حواجز دفاعية تمثلت في بعض فيالق الجيش الروماني.

استنادا إلى بعض المعطيات الآثرية وتحليلات بعض المؤرخين يمكن أن نستخلص أن التواجد الوندالي في بلاد المور لم يكن بنفس الشكل والحجم على كل المناطق، حيث كانت المناطق الساحلية الغربية تشكل نقاط ارتكاز، أما الجزء الشرقي فقد كان هو الهدف الاستراتيجي للجيش الوندالي.

وأمام تعاظم شوكة الوندال، اضطرت الامبراطورية إلى عقد العديد من المعاهدات مع قادة الوندال وعلى رأسهم جنسريق، كانت أهمها المعاهدتين التي عقدتا بين الطرفين سنة 435م، و442م وهو الدليل القاطع على الإعتراف الرسمي بالسيطرة الوندالية على جزء كبير وهام من بلاد المور.

لقد دام التواجد الوندالي في بلاد المور ما يناهز مدة قرن من الزمن، حكم فيه ستة ملوك كان أبرزهم الملك جنسريق لما تركه من أثار سياسية واقتصادية ثم اجتماعية على المنطقة.

كما يلاحظ أيضا أنه رغم المساعدة التي قدمتها أهالي المنطقة للوندال أثناء عبورهم للضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، إلا أنهم كانوا قد غيروا تعاملهم مع تلك الفئة الجرمانية التي برهنت على أنها لا تختلف عن العنصر الروماني المستغل الذي كان يستعبد العنصر المحلي ويستعمله كرقيق لتحقيق أهدافه الاقتصادية

والسياسية. لهذا السبب، ظهرت كيانات سياسية انقلبت على الوندال وقاومتهم وكبلـــتهم هزائم في عدة معارك وخسائر اقتصادية وسياسية أضعفت قوتهم وسهلت مهمة الجيش البيزنطي للقضاء على التواجد الوندالي والعودة بقوة للسيطرة مجـــددا علـــى الـــشمال الافريقي.

الفصـــل الرابع

الفصـــل الرابع

التحـــولات الاقتصـــاديـــــة في شمال إفريقيا أثناء فترة الوندال

أولا : ضرب السكـــــة.

ثانيا : الزراعـــــة.

- دور الأهالي في الزراعة.

ثالثا: النشاط الحرفي.

رابعا :التجـــارة

1-التجارة الداخليـــة.

2- التجارة الخارجيـــة.

- **التحولات الإقتصادية في شمال إفريقيا أثناء فترة الوندال:**

بعد الاستيلاء على مدينة قرطاجة انتقل الوندال من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، وهذا ما يؤدي بدون شك إلى تحول في طباعهم وعاداتهم وسلوك حياتهم بصفة عامة.[1]

ومن هنا، يمكننا أن نتساءل:

- كيف كان تعاملهم مع ما وجدوه من أنماط معيشية خاصة لدى المور؟.
- كيف تعاملوا مع الفلاحين المور؟.
- ما هو دورهم في المجال الاقتصادي؟ وهل تطور في عهدهم أم العكس؟.
- كيف كان رد فعل المور؟ وفيما تمثلت العلاقة الاقتصادية بينهم وبين الوندال؟ وما هو مصير أراضي الأهالي؟.

حسب شهادة المراجع الأدبية من مؤلفات فيكتور دي فيتا و بروكوبيوس تبدو الحالة الإقتصادية بإفريقيا في عهد الوندال تساير نفس خطوات الازدهار التي كانت عليها قبل وصولهم إلى المنطقة، إلا أن تلك المعاينة وإن كانت مقبولة على مستوى الإمكانيات الاقتصادية العامة للبلاد، فإنها لا تأخذ بعين الاعتبار لا الفوارق الجغرافية ولا اختلاف الوضعيات السياسية والأمنية في مختلف أنحاء المغرب القديم في الفترة الوندالية. ومن هذا المنطلق، انفردت البروقنصلية بوضعية ساد فيها نوع من الأمن والاستقرار بعكس المقاطعات الأخرى التي كانت تعاني من هجومات القبائل المورية ومن مناخ أمني كان يكبح بعض حالات النمو الاقتصادي.[2]

أولا- ضرب السكـــــة الوندالية:

رغم أن شارل باتان (Charle Patin) صاحب كتاب مسكوكات الأباطرة الرومان الذي طبع في باريس عام 1667 هو أول من تطرق لموضوع النقود الوندالية،

---

(1) - Yanoski (J), Op. Cit., P. 84

(2) – خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص. 218.

إلا أن دراسات بارون مارشان (Baron Marchant)[1] هو أول من قام بدراسة جادة حول هذا الموضوع، معتمدا في ذلك على القطعة النقدية التي درسها باتان مبينا بأنها لم تكن رومانية بل هي ذات أصل وندالي، بالإضافة إلى عدة قطع نقدية اكتشفت في النصف الأول من القرن الثامن عشر تعود لعدة ملوك وندالبين[2].

توجد تلك النقود حاليا بمتحف كوبن هاجن (Copenhagen) حسب ما يؤكده الكاتب والقنصل الدانماركي فالب (Falbe) والذي قدم لنا صور للنقود الوندالية في كتابه:Recherche sur l'emplacement de Carthage الذي طبع في باريس عام 1888[3] .

إن أغلبية النقود التي اكتشفت في الجزائر في كل من ولايتي سكيكدة (Philippeville) وقالمة (Calama) تعود إلى عهدي الملكين الوندالبين جنسريق وهلدريك وهي نقود نحاسية فضية سكت بقرطاج[4].

من هذا المنطلق، يمكننا أن نستنتج أن الوندال كانوا قد أقاموا في إفريقيا دولة حسب التقاليد الجرمانية ولم يترددوا في إدخال تغييرات عليها كلما اقتضت الظروف ذلك[5]، وخير مثال على ذلك، ضرب السكة في عهد الذي استعان بالمعامل القرطاجية والخبرة المحلية، وهذا ما يؤكده التشابه بين النقود الوندالية والنقود الرومانية.[6]

إن ضرب السكة في الفترة الوندالية، لم تكن أسوأ مما أنتجته المعامل الأخرى في الفترة البيزنطية التي تلت مرحلتهم، وحسب "شارل أندري جوليان" فإن النقود الوندالية كانت قد أعطتنا صورتين بارزتين للحياة الاجتماعية والاقتصادية في العهد

---

[1] – ولد نيكولا راماس مارشان بارون في 11 نوفمبر 1767 بفرنسا من أب امتهن الطب ولهذا صار طبيبا متأثرا بأبيه وهو في السنة السابعة عشر من عمره، وهذا ما يسمح له بالعمل في الأكاديمية الملكية للطب بباريس ثم بماتز الفرنسيتين. بعد ذلك انتقل إلى الطب العسكري إلى غاية 1816 ليتجه فيما بعد إلى الاهتمام بالإدارة فتحول إلى رئيس بلدية ومن هنا بدأ اهتمامه بدراسة المسكوكات. توفي بتاريخ 30 جوان 1833.

[2] – Lettres du Baron Marchant, Sur la Numismatique et l'histoire, amoitie par Lemormant (CH.), De Sanley (F.), De la Saussage (L.), De Nitte (J.), Marquis de lagay, De Laongperver (AD.), Maurg Victor Langlois (AL.), et Fournier du Lac (H.), Nouvelle édition, Paris, 1851, P. 191.

[3] – Lettre du Barron Marchant, Idem, P. 192.

[4] – Ibid, PP. 197-203.

[5] – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 337.

[6] – نفسه، ص. 338.

الوندالي.فالأولى صورت الوندالي بالزي الروماني حاملا على رأسه إكليلا وبيده درعا.

أما الثانية، فتبرز امرأة تحمل بيدها سنابل القمح التي ترمز للرخاء الاقتصادي[1].أنظر الصورة رقم 01، ص. 99والصورة رقم 02،ص100.

[1] – شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص. 338.

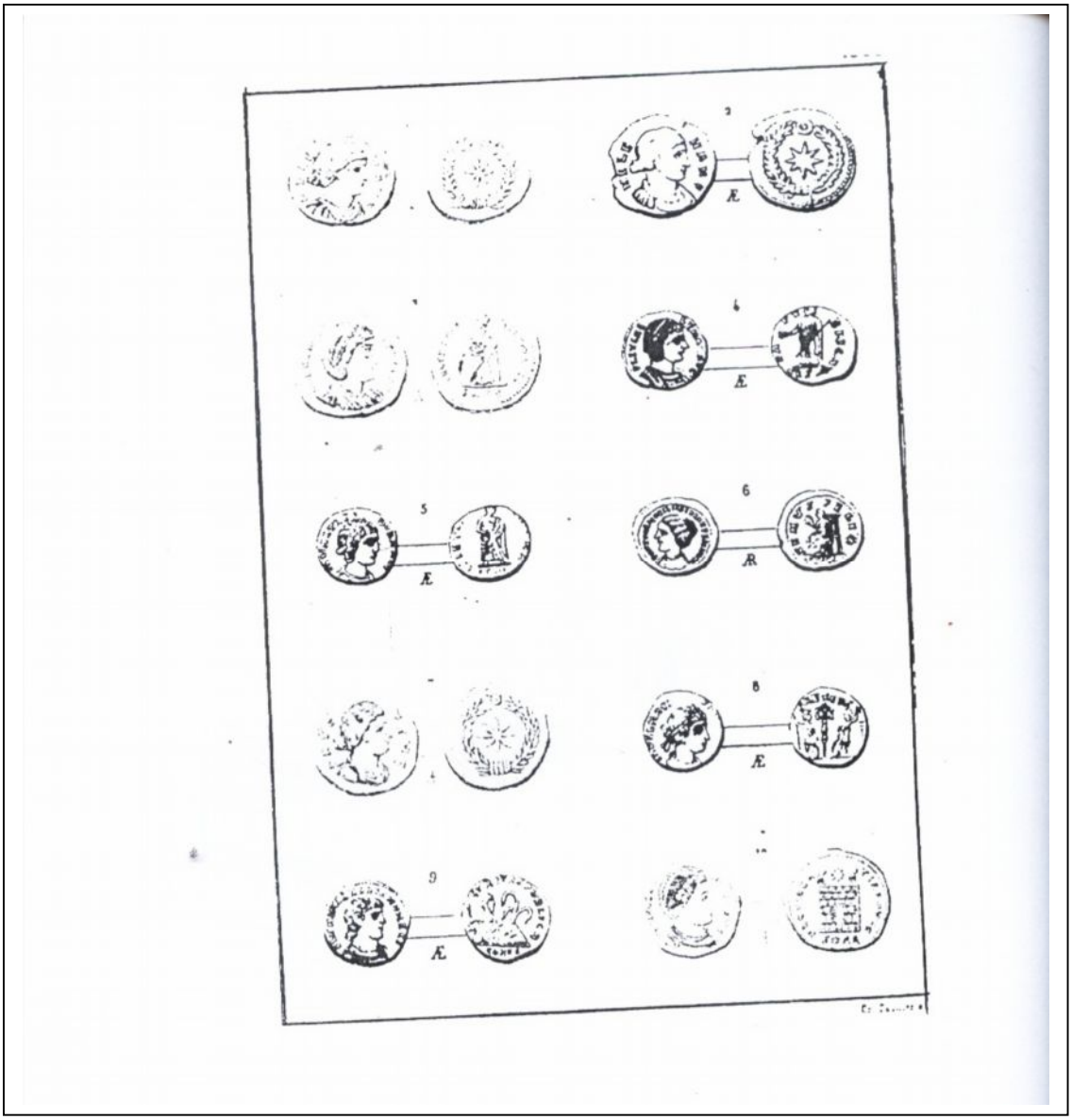

الصورة رقم 01: بعض العملات النقدية الوندلية المكتشفة ببلاد المغرب القديم ، والتي لم يحدد مكان اكتشافها، والموجودة حاليا بالمتحف الوطني بالدانمارك

المصدر: Lettres du Baron Marchant, Sur la Numismatique et l'histoire, amoitie par Lemormant (CH.), De Sanley (F.), De la Saussage (L.), De Nitte (J.), Marquis de lagay, De Laongperver (AD.), Maurg Victor Langlois (AL.), et Fournier du Lac (H.), Nouvelle édition, Paris, 1851, P. 171.

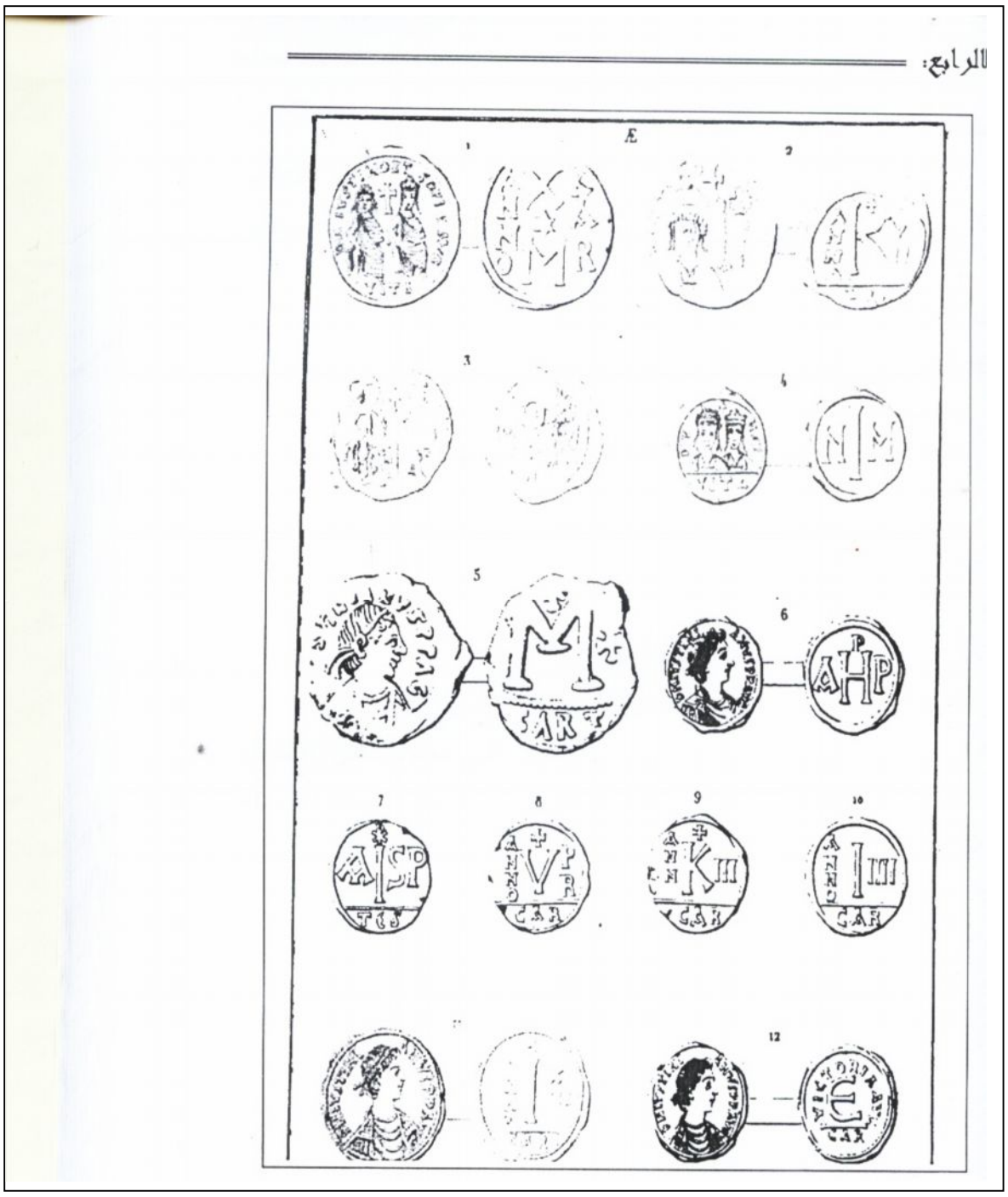

الصورة رقم 02: بعض العملات النقدية الوندلية المكتشفة ببلاد المغرب القديم ، والتي لم يحدد مكان اكتشافها، والموجودة حاليا بالمتحف الوطني بالدانمارك

المصدر: Lettres du Baron Marchant, Sur la Numismatique et l'histoire, amoitie par Lemormant (CH.), De Sanley (F.), De la Saussage (L.), De Nitte (J.), Marquis de lagay, De Laongperver (AD.), Maurg Victor Langlois (AL.), et Fournier du Lac (H.), Nouvelle édition, Paris, 1851, P. 172.

ثانيا- الزراعـــة:

رغم أن الصراع الديني الذي عرفته إفريقيا في عصر الوندال نتيجة اضطهاد الأريوسيين للكاثوليك[1]، غير أن ذلك لا يعني أن إفريقيا لم تعرف في عهد الوندال السلم، بل كانت الصراعات تنفجر بين الحين والآخر، ولا نعتقد أيضا أن العلاقات بين الوندال والأهالي كانت دائما ودية، بل كانت هناك فترات تميزت باضطراب شديد، ولكن تلك الاضطرابات كانت فقط في الفترة الأخيرة ابتداءً من عصر هونريك.[2]

رغم الخضوع الذي عرفته بعض المناطق للوندال، فإننا نجد مناطق أخرى خارج النفوذ الوندالي، ظلت تحتفظ بأنماط معيشتها. بل أكثر من ذلك يمكننا القول أنه حتى المناطق التي خضعت مباشرة للوندال لم تتغير فيها أساليب الإنتاج [3].

يبدو أن الممتلكات لم يلحقها إلا تغيير طفيف، إذا استثنينا إقليم المزاق وجهة زغوان بالجهة الغربية الشمالية لتونس حاليا[4]. إذ رغم تحول الضيعات إلى عائلات الوندال، فقد كانت تلك العائلات تكتفي باستلام ضرائب المحاصيل التي كانت تكفيهم وتمكنهم من حياة البذخ والترف، ونادرا ما يشرف المالكون الجدد على الأراضي التي عادت لهم، وانصرفوا إلى شؤون الجيش والحكم [5]. ويمكننا أن نستدل على ذلك بكثير من مطاحن الزيتون التي استمرت في تأدية مهامها، حيث كانت تنتج كميات كبيرة من الزيت الذي كان له دور كبير في الاقتصاد في تلك الفترة.

ولهذا، يمكننـــا القول أن الظروف العامة للبلاد لم تتغيـــر، حيث استمرت زراعة الأراضي تستغل في نفس الظروف ومن قبل نفس المزارعين، تباع وتشترى في نفس الظروف القانونية التي كانت سارية المفعول منذ أواخر العهد الروماني[6].

---

(1) - Courtois (Ch.), Op. Cit, P. 310.

(2) - Ibid, P. 311.

(3) - Ibid, (Loc. Cit.), P. 312.

(4) - Corippus (FIC.), Johannid, trad. Alix (J.), revue Tunisiènne, (1899-1902), P. 317.

(5) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 257.

(6) - Gautier (Ef.), Op. Cit., PP. 203-205.

وهذا ما أكدته الشواهد المادية المكتشفة في نواحي تبسة والمتمثلة في ألواح ألبرتيني (Tablettes Albertini).[1]

رغم احتمال تقلص المساحات الزراعية[2]، خاصة في أواخر العهد الوندالي نتيجة الحروب التي عرفتها المنطقة، فقد ظل إنتاج إفريقيا من الحبوب كالقمح والشعير كافيا كذلك الزيتون والأشجار المثمرة الأخرى كالعنب والتين واللوز، إضافة إلى تربية المواشي التي كانت تحتل مكانة هامة خاصة تربية الخيول الضرورية للحرب والمواصلات.[3]

بعد الاستيلاء على مدينة قرطاجة، شرع جنسريق في توزيع الأراضي على الوندال، مصنفا أياها إلى ثلاثة أصناف.[4]

أ- ممتلكات العائلات النبيلة والغنية، سلمت لابنيه هنريك وجنسون.

ب- أراضي المزاق وزغوان سلمت للجنود الوندال.

---

[1] – ألواح ألبيرتيني: سميت بهذا الاسم نسبة للباحث ألبيرتيني (E. Albertini) الذي يعتبر أول من قام بدراسة تلك الألواح التي اكتشفت سنة 1928م من طرف الأهالي ببلدية تبسة المختلطة أثناء العهد الاستعماري الفرنسي.

لقد اعتقد الأهالي أنهم اكتشفوا كنزا ثمينا ذلك لأن تلك الألواح كانت بداخل جرار في وضعية مقلوبة أفواهها في الأسفل وفتحاتها في الأعلى ولهذا قام بتحطيمها، ولكن بعدما وجدوها تحتوي على مجرد ألواح سلموها للسلطات الفرنسية عن طريق مسؤولي بلدية تبسة، بعد عدة أشهر من اكتشافها في 21-09-1928 قام الباحث ألبيرتيني بدراستها محددا لنا المعلومات التالية:

1- مكان الاكتشاف: في نقطة تقاطع بعدها الأول 100كلم جنوب تبسة، والثاني 65كلم غرب قفطة.

2- نوعها: عبارة عن ألواح متعددة تشكل عقود بيع وشراء.

3- شكلها: منها المربعة الشكل لكن أغلبها يأخذ شكل مستطيل، هذا وإن أكبر طول لهذه الألواح هو 260ملم وأكبرها عرض هو 104ملم.

4- نوع الخشب: استعملت من أشجار الصفصاف واللوز ويرجح أن هذه الأنواع جلبت من غابات الأوراس.

5- مادة الكتابة: هو الحبر ذو اللون الأسود الذي يميل إلى اللون البني، مصنوع من الصوف المحروق أو من مادة الخروب اليابس. لمزيد من المعلومات أنظر:

- Albertini (E), Tablettes D' Albertini, Actes privés de l'époque vandale, Arts et métiers graphiques, Paris, 1952, PP. 3-10.

[2] - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 317.

[3] – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص. 257- 258.

[4] - Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale, Trad. Paris, 1888, P. 147.

ج- أما الجزء المتبقي المتمثل في الأراضي الأقل خصوبة فقد ترك لأصحابه على أن يلتزموا بدفع الضرائب[1].

وفيما يخص الأراضي التي كانت بأيدي الرومان العسكريين لاسيما المتقاعدين منهم، فقد أعطي لهم الاختيار بين العمل في الأراضي التي صارت ملكا للوندال كعبيد، أو الهجرة إلى ولايات أخرى مازالت تابعة للإمبراطورية الرومانية ولهذا اضطر الأغلبية منهم إلى الهجرة[2].

أما فيما يخص الضرائب، فقد كانت مفروضة على كل الأراضي سواء تلك التي كانت بين أيدي الرومان أو الأهالي، ولم يعف منها سوى التي كانت بيد الوندال[3]. وقد اتفق أغلب المؤرخين على أن تلك الضرائب كانت أخف مما كانت عليه في أواخر عهد الإمبراطورية الرومانية[4].

إن ملكية الأراضي عند الوندال كانت ملكية جماعية، كانت الأسر تتوارث جماعيا تلك الأراضي، لكن انعدام الخبرة في مجال الفلاحة عند العائلات الوندالية المستغلة لتلك الأراضي جعل المؤرخ شارل أندري جوليان يقول: "رغم تحول الضيعات إلى عائلات الوندال، إلا أنها كانت تكتفي باستلام الضرائب الكثيرة للمحاصيل الزراعية ، وقلما أشرف الملاكون الجدد على الأراضي التي عادت لهم، إذ انصرفوا إلى شؤون الجيش والحكم، فضلت تلك الأراضي تستغل بواسطة المزارعين القدماء الذين استقروا في أراضي المعمرين الجدد، فأصبحوا يتصرفون وكأنهم المالكين الحقيقيين للأرض"[5]. لهذا يرى غوتييه أنه رغم أخذ الأرض من طرف الوندال واستقرارهم بها، إلا أنهم في نظره لم يقضو على أرستقراطية الأرض الرومانية، التي

(1) - Mercier, Op. Cit., P. 147.

(2) - Crousset (R.), et Leonard (E.G.), Histoire universelle des origines à l'islam, T.1, Gallimard, 1956, PP. 1294-1295.

(3) - Ibid, P. 1295.

(4) - Yanoki, Op.Cit, P. 82; Mouloud Gaid, Op.Cit, P. 136; Marcurs Louis, Histoire des randales depuis leur première apparition jusqu'à la destruction de l'empire de l'occident, Paris, Hachette, 1907, PP. 174-179.

(5) - Gautier (E.F), Op.Cit ; PP. 203-204.

كانت تعتبر المصدر الأساسي للثروة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن تلك الأرض تعد المصدر الذي يستمد منه الجيش مؤونته وثروات الشعب[1].

ومن جانب آخر، فإن كورتوا يعتقد أن العمال غير الأحرار استطاعوا الرفع من معنوياتهم رغم الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة، نتيجة الضرائب المفروضة على الأراضي والتي كان إنتاجها غير جيد نسبيا، إذ تحسنت ظروف الفلاحين الأهالي على ما يفهم من كثير من المؤرخين بالمقارنة مع العهد الإمبراطوري، الذي زادت فيه قسوة وغلظة حياة الضرائب من تدهور أوضاع الأهالي[2].

- دور الأهالي في الزراعة:

لم يتخلى الموريون عن زراعة الأرض، شأنهم شأن الموريطانيون، وهو ما يجعل الدارسين غير متأكدين ما إن كانت تلك المناطق تدفع بدورها الضرائب للوندال أم لا؟ مادامت تتوضع خارج النفوذ الوندالي، فهل أنها لم تكن تخضع لتلك الضرائب مادامت كانت قد أعلنت استقلالها عن الوندال منذ السنوات الأولى لوفاة جنسريق؟[3].

نستنتج من خلال كل ما سبق، أن المجال الفلاحي لم يكن مترديا، إذ ظلت الحبوب لا سيما القمح والشعير تغطي الاستهلاك المحلي، إلى جانب ذلك كانت هناك زراعة الزيتون والكروم وتربية الحيوانات في السهول الداخلية وفي المزاق وزغوان[4].

ورغم تقلص زراعة الحبوب في العهد الوندالي التي كانت نتيجة طبيعية للاضطرابات التي استمرت طيلة فترة خلفاء جنسريق، إلا أن إنتاج إفريقيا ظل يكفي الاستهلاك المحلي، وبقيت المنطقة بلدا زراعيا بالدرجة الأولى. اعتمادا على المحراث الخشبي الذي يجره الثيران. وقد ظلت الأرض تحرث بنفس الطريقة التي كانت تتم بها

(1) - Ibid, P. 205.

(2) - Courtois (Ch.), Op. Cit., PP. 312-316;

(3) مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الجزائر، 1976، ص. 351.
- Michel Janon, L'Aurese au VI siècle, note sur le récit de procope, antiquités africaines, T. 15, 1980, P. 348; Cornovin Robert, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, des origines aux XVI siècle, Payot, Paris,1969,P.190.

(4) - Courtois (Ch), Op.Cit, P. 316.

من قبل، كما تعتبر الحبوب المورد الهام في كل المناطق خاصة سهول قرطاجة والمناطق المرتفعة لنوميديا والأوراس والمزاق[1].

لم يكن هذا هو الحال في إفريقيا طيلة الفترة التي تلت جنسريق، بل شهدت المنطقة اضطرابات طبيعية فمثلا سنة 484م عرفت المنطقة مجاعة تعود إلى الجفاف بسبب انعدام الأمطار حيث أصبحت الأرض قاحلة صفراء، وهلك عدد كبير من الحيوانات مما اضطر سكان الجنوب إلى الزحف نحو الشمال نتيجة للجفاف الذي لحق بهم[2]، ولكنها لم تكن المرة الأولى التي ظهرت فيها المجاعة بل كانت قد ظهرت أيضا قبل ذلك في سنة 431م، أثناء حصار هيبون من طرف جنسريق مما أدى بهذا الأخير إلى فك الحصار نتيجة المجاعة التي حلت بجيشه[3].

لم تكن الحبوب الثروة الوحيدة في إفريقيا، بل هناك ثروة الأشجار المثمرة وبالخصوص أشجار الزيتون التي تمثل أراضي عامة وخصبة مثل التي يحتلها القمح، ويذكر فيكتور دي فيتا أن الزيت كان يلعب دورا هاما في الغذاء اليومي بالنسبة للأهالي، مما جعل شجرة الزيتون تحتل مكانة هامة ولعبت دورا بارزا في حياة السكان، ولم تكن شجرة الزيتون لوحدها التي اهتم بها الأهالي، بل إلى جانبها كانت هناك أشجار الفواكه كالعنب والتين واللوز...الخ، التي كانت تزرع في المنطقة الشرقية للمزاق وفي كثير من المرتفعات[4]. وأكدت لنا ألواح ألبيرتيني بأنه فيما بين الفترة الممتدة بين 493م و496م غرست هناك العديد من أشجار التين والزيتون والعنب[5].

كما لم يهمل الأهالي تربية المواشي التي كانت لها مكانة هامة، خاصة لا سيما بالنسبة لتربية الخيول التي استعملت للمواصلات والحروب، إلى جانب تربية البغال والجمال التي استعملت في حمل البضائع والثيران التي كان لها دورا هاما في المجال

(1) - Ibid, P. 317.

(2) - Courtois (Ch.), Victore de vita et son œuvre, Imprimerie officielle, Alger, 1954, PP. 39-40.

(3) - Courtois (Ch.), Les vandales et l'Afrique, PP. 318-319.

(4) - Courtois (Ch.), Op.Cit, P, 319.

(5) - Tablettes Albertini, Op. Cit., PP. 215-230.

الزراعي، لأنها كانت الأداة الأساسية في عملية حرث الأرض ودرس المنتوج الزراعي.

ثالثا- النشاط الحرفي:

لقد تميز العهد الوندالي في بدايته بتقهقر الصناعة التقليدية، وذلك ما كشفت عنه المعطيات الأثرية. ولم تكن هناك تداعيات تذكر في الميدان الصناعي الحرفي، حيث واصلت الورشات العديدة نشاطها في كثير من المنتوجات[1]، ورغم الأثر السلبي الذي نتج عن القرصنة الوندالية في حوض البحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي أدى إلى غلق الكثير من الأسواق، إلا أنه وبعودة العلاقات التجارية في عهد هونريك عادت الحرف إلى المستوى الذي كانت عليه سابقا[2].

رغم تلك المعطيات، فإنه لا توجد لدينا معلومات كافية حول ميدان النشاط الحرفي، إلا أن ما يمكن أن نستشفه من البحث الذي قام به كل من الباحث كورتوا ويانوسكي، هو أن الوندال لم يدمروا الصناعة التي قام بها كل من الرومان والفينيقيين من قبلهم، فبعودة العلاقات مع الخارج في عهد هنريك، انغمس ملوك الوندال في البذخ والترف، وكل الأدوات التي استعملوها في الملابس الخاصة مثل الأقمشة الحريرية والأثاث الذي كان من منتوجات محلية، سواء ذلك المصنوع من الخشب أو الطين أو الحديد، وهذا ما يمكن أن نستشفه من أغلبية النصوص المعاصرة على حد قول يانوسكي[3].

أما بالنسبة للحلي الذهبية المستعملة فيعتقد أنها لم تكن صناعة محلية، فرغم استمرار استغلال المناجم في شمال إفريقيا من قبل الوندال إلا أن الدارس يجهل الأدوات التي كانت تصنع منها،ما إذا كانت برونزية أو فضية[4].

أما فيما يخص أهم المنتوجات الصناعية فقد تمثلت في الصناعة النسيجية والحرير والأثاث، إضافة إلى صناعة العربات التي استعملت للنزهة والتي انتشرت في

---

(1) – خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص. 219.

(2) - Yanosky (J.), Op. Cit., P. 89.

(3) - Ibid, P. 89.

(4) - Courtois (Ch.), Op. Cit., P. 316.

المدن الهامة مثل قرطاجة وهيبون[1]. إضافة إلى مصانع الأسلحة وعتاد السفن في قرطاجة وغيرها من المناطق الساحلية المجاورة[2].

أما فيما يخص الفخار فقد واصلت الورشات إنتاج هذا النوع من المنتوجات كالجرار والقناديل[3].

رابعا- التجـــــارة:

تجتمع العديد من المعطيات المادية والكتابية لتشكل لنا براهين ودلائل على وجود حركة تجارية في الفترة الوندالية سواء على الصعيد الداخلي فيما بين الوندال والأهالي، أو فيما بين الأهالي أنفسهم أو على الصعيد الخارجي مع بلدان أوربا وآسيا ومصر ومن تلك المؤشرات:

1- ألواح ألبيرتيني التي تدلنا على تجارة العبيد وبيع الأراضي التي سوف نقدم نماذج منها لاحقا.

2- كتابات بروكوب عن التاجر الذي صادفه في سراقوسة[4] وما روي له عن الصفقات التي عقدها في قرطاجة[5].

3- عند نزول القوة البيزنطية على سواحل قرطاجة بقيادة رئيس الحملة جوستنيان الذي يدعى القائد بيليساريوس، أنه وجد سفينة في المرسى انطلقت باتجاه اسبانيا بعد أن امتلأت بالسلع[6].

4- كان الرجال الذين وضعهم الملك الوندالي جليمر في السجن، قد جاؤوا من الشرق لأغراض تجارية[7].

---

(1) – نفسه.

(2) - Procopius, I, 14.

(3) – خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص. 219.

(4) سرقوسة: تأسست من قبل الإغريق عام 733ق.م، وهي مدينة في جزيرة سيقلية تقع في الساحل الجنوبي الشرقي لها، وصفها شيشرون بأنها أعظم وأجمل المدن اليونانية قاطبة، كما صنفتها منظمة اليونيسكو ضمن مواقع التراث العالمي. لمزيد من المعلومات أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:WWW. Wikipedia.org .

(5) - Yanosky (J.), Op. Cit., P. 89.

(6) - Procopius, B.V.I, 14.

(7) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 259.

5- التجار الأفارقة الذين ظلوا يترددون على موانئ الشرق كما كانوا في السابق[1].

6- كما استطاع الأفارقة عقد العديد من الصفقات التجارية مع العديد من الشعوب الجرمانية في أقصى الشمال عن طريق غالة فرنسا حاليا وإيطاليا[2].

أما فيما يتعلق بالطرق والمواصلات، فلم تكن التجارة البحرية هي الوحيدة، بل كانت هناك علاقات تجارية عبر الطرق الصحراوية إضافة إلى الطريق الشرقي الذي يربط المغرب القديم بالهند مرورا بمصر[3].

1- التجـــارة الداخليـــة:

ليس لدينا معلومات كافية حول الحركة التجارية على الصعيد الداخلي، ولكن ما هو مؤكد لنا هو وجود دكاكين على طول شوارع قرطاجة، التي كان لأصحابها علاقات تجارية مع الفلاحين الذين يأتون لبيع بضائعهم، ولكن ما نجهله هو الطريقة التي كانت تتم بها هذه المبادلات، إلا أنه حسب إشارة بعض الباحثين فإن عملية التبادل كانت تتم عن طريق القطع الفضية، رغم أن بلاد المغرب القديم عرفت القطع الذهبية لكنها في العهد الوندالي كانت ضمن أموال الملك، ولم نجدها منتشرة على مستوى واسع، والجدير بالذكر أن الأسعار كانت قد انخفضت أثناء العهد الوندالي. كما أن التجارة الداخلية كانت بصفة عامة ضعيفة[4].

أما فيما يتعلق بالمنتوجات المتبادلة، بين الوندال وغيرهم فقد تمثلت في المنتوجات الزراعية كالقمح وبعض منتوجات الأشجار كالتين والعنب والحيوانات الأليفة كالماعز والدجاج والأحمرة والخيول التي كانت تربى على نطاق ضعيف جدا رغم أن الوندال كانوا في بدايتهم فرسان مهرة[5].

(1) – Procopius, B.V.I, 20

(2) – Victor de vita, III, 41.

(3) – Yanoky (J), Op. Cit ; P. 88.

(4) – Courtois (Ch.), Op.Cit, PP. 319-322.

(5) – Idem, P. 322.

كما انتشرت كذلك، عملية بيع وشراء الأراضي التي تحتوي على الأشجار المثمرة، فاللوحة الثالثة لألبيرتيني تمثلت في عقد بيع لخمس قطع أرضية مغروسة بأشجار التين والعنب والزيتون يعود تاريخها إلى سنة 493م والتي نقدمها كنموذجا:

- **عرض اللوحة وترجمتها:**

TABLETTE 2b.
(PI.. II)

anno decimo dom(ini) reg(is) ginttqbundi sub die nonqs isuniqs
bendedimus donatianus uictoris et saturninus cibes cappra-
rianensium puerum unum nomine fortinis coloris candidum
annorum circiter plus minus sex non erroneum neque malis m-
oribus costitutum neque caducum quem ab eis emit felix fortu-
tuni cibis tuletianensis auri solidum unum et fol(les) septingentos au-
reos obbrediacos ponderi plenos numero semis quod solidu-
m unum et fol(les) septingentos s(upra)s(cri)pp(ti)donatianus et sturninus ben-
ditores in se susceperunt presentibus suscribturis et secum sus-
tulerunt nicil quesibimus ex edem pretio quiquam amplius de-
ueri respondiderunt a pridie quam benderent abuerunt possederunt
iu[risque eorum fuerunt et ex] hac [die in nomine] geminius felix [؟][1]

عقد بيع قطعة أرض وحقل من التين وذلك سنة 493م

لقد تم في هذا اليوم بيع حقل من التين بالنقد الإفريقي بين السيد مارينو كوانتيوس (Marino Quintus) وجاره دوبر جنتيس (Debergentis).

هذا الحقل متواجد بمحاذاة الطريق، ومتبوع بحوض للسقي إضافة إلى أرض مائلة.

كما أنه تم بيع حقل آخر في مكان شرقي للسيد بولتيس (Pullatis) ويحتوي هذا الحقل على خمسة أشجار زيتون وتم بيعه بالعملة الإفريقية.

إضافة إلى حقل آخر بيع للسيد فيكتورينيس نانغراليست (Victorinis Nungralist) مع خمسة شجيرات الزيتون.

كما تم بيع حقول بالجهة الوسطى والجنوبية للمالكين فيكتورنيس وباترنوس (Paternus) لجارهما.

(1) -Tablettes Albertini , actes privés de l'épppoque Vandale, (fin du V^e siécle), éd, arts et mitiers graphiques, Paris, 1952, P.217.

هذه الحقول الموصوفة والمذكورة أعلاه تم شراؤها من كل المالكين ثم شراؤها من قبل السيد والسيدة بيوبوريوس وكوليانيس(Bioborius et Lolianis)بالنقد الذهبي والبرونزي. واللوحة الخامسة التي تمثل عقد بيع حقل من إحدى عشرة شجرة زيتون الذي يعود إلى 494م.

- **عرض اللوحة وترجمتها:**

TABLETTE 4a.

(PL. IV)

magula a meridie et a marino quintus a coro I[atere-]
tis et bergentisque suis it(em) alio in loco s(upra)s(cri)p(to) fici arbor u[na]
qui coheret ad bia de buresa ab africo cum lateretis
et aquaris bergentisque suis it(em) alio in loco locus qui
dicitur pullatis in quo sunt olibe arb(ores) cinq [ue inter]
adfines eiusdem loci ab oriente quintianus a meridie
quintianus ab africo et a coro uictorinus nug[ualis]
it(em) alio in loco in pullatis locus abiente olibe arb(ores) cin-
que inter adfines eiusdem loci ab oriente processa-
nus a meridie uictorinus ab occidente paternus
[ia] deris a coro iannarius ques eosdem agros ss(u)p(ra)scri(ptos)
de quo agitur hac die emerut geminius cresco-
nius et cresconia iugalis eius a iulio leporio et co[ia]
iugalis eius et etiam silbanianus et uictorinus
auri solidum unum et f(ol)l(e)s [aur]e[os] obrediacos[1]

عقد بيع عبد شاب بتاريخ 5 جوان 494م

في السنة الثانية الموالية لحكم الملك جونتاموند وفي شهر جوان قمنا أنا دوناتيانوس (Donatianus) ابن فكتور وساتورنين (Victor et Saturnin) ونحن من قبيلة كبريانونسوس (Les capprianensus)، ببيع عبد شاب يدعى فورتنيس (Fortinis) أبيض البشرة يبلغ من العمر ستة سنوات وهو لا متشرد ولا لقيط ولا يحمل أية صفات بديئة، كما أنه غير مريض ويتميز بصحة جيدة.

هذا العبد اشتراه فيليكس (Felix) ابن فورتون (Fortuna) وهو مواطن من قبيلة طولاد (Tolede) بفلس من ذهب و70 قروش من البرونز.

(1) -Tablettes Albertini , op.cte, P.218.

لقد تم استلام النقود من الباعة وأخذوا نقودهم في جيوبهم أمام الحاضرين، كما أنهم لم يعترضوا على أي شيء.

2. التجـــارة الخارجيـــة:

أ-الصـــــادرات:

تعرفنا الدلائل القديمة بأن السفن التجارية كانت تحمل عادة من إفريقيا القمح والصوف والكتان والملح والزرابي والأخشاب الموجهة لصناعة الأثاث الفاخر، وإضافة إلى ذلك، كان يصدر الرخام الذي يتميز بالنوعية الجيدة والمرمر والأحجار الكريمة، كما صدرت كذلك الطين الموجهة لصناعة الفخار بسبب نوعيته الجيدة وصلاحيته لهذا النوع من الصناعة بشكل كبير[1].

ولم تقتصر التجارة على تلك الأنواع من المنتوجات والمواد الخام فقط، بل تعددت إلى المتاجرة بالعبيد، ولكن لم تكن بنفس الشكل الذي كانت عليه في العهدين الفينيقي والروماني. كما كانت قرطاجة تصدر كميات كبيرة من الأسلحة كالسيوف والدروع وبعض الألبسة العسكرية[2].

ب- الـــــواردات:

الواردات كانت قليلة جدا، فالأرض بخصوبتها وإنتاجها كانت تستجيب لحاجيات السكان، كما أن أهم الوسائل والأواني الضرورية للحياة اليومية كانت تنتج محليا من طرف السكان[3]. إذن، فالتجارة الخارجية كانت تعتمد بالدرجة الأولى على عملية التصدير.

نستخلص مما سبق، أن هدف الوندال كان سياسيا وعسكريا بالدرجـــة الأولـــى أثناء غزوهم للشمال الافريقي، إلا أنهم لم يهملوا الجانب الاقتـــصادي خاصـــة بعـــدما انتقلوا من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار.

إن انتعاش الوضع الاقتصادي دفع بالوندال إلى الاهتمام بعدة قضايا اقتـــصادية هامة والتي يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

(1) – Procopius, B.V., II. 3.

(2) – Marcus, Op. Cit., P. 212.

(3) – Papen Cordt, Le commerce de l'Afrique au temps des vandales, P. 259.

– رغم وجود عملة رومانية متعامل بها في شمال إفريقيا إلا أن هذا لـــم يمنـــع الوندال من ضرب سكة جديدة تؤكد وجودهم السياسي ودورهم الاقتصادي.

– كذلك يلاحظ أن الظروف والمعاملات في المجال الزراعي لم يظهر عليها إلا بعض التغيرات الطفيفة التي اقتصرت على انتقال الملكية من الرومان إلى الوندال فقط، كما أن ملكية الوندال للأراضي كانت جماعية .

– أراضي الأوراس وأراضي الموريطانيتين السطيفية والطنجية كانتـــا خـــارج نطاق السيطرة الوندالية لهذا عرف أهالي تلك المناطق انتعاشا محسوسا.

–في مجال الحرف واصلت العديد من الورشات نشاطها في كثير من المنتوجات كالأقمشة والحرير والمنتوجات الخشبية والطين والحديد.

–الشواهد المادية والأدبية، تؤكد لنا وجود حركة تجارية نشيطة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

الفصل الخامس

الفصـــل الخامس

التحـــولات الثقافيـــة والاجتماعيـــة

أولا : طبقات المجتمـع الوندالـي.

ثانيا : نظـام الحكـــم.

ثالثا : الديـــانـــة.

رابعا : اللغـــــة.

خامسا : الأدب والفنـــون.

سادسا : العمـــــران.

التحولات الثقافية والاجتماعية:

أولا- طبقات المجتمع الوندالي:

بعد استيلاء الوندال على قرطاجة يكونون قد بسطوا نفوذهم على جزء هام من أراضي شمال إفريقيا، وهو ما أدى إلى نقلة هامة في حياتهم، حيث انتقلوا من حياة التنقل إلى حياة الاستقرار كما ذكرنا سالفا، وهذا ما يؤدي بدون أدنى شك إلى تحول شامل في طباعهم وعاداتهم، وفي حياتهم بصفة عامة[1]. لكن يلاحظ أنه رغم ما يبدو من تحول عام في حياة الوندال، إلا أن الدارس يجد في بعض النصوص ما يستشف منها أن هؤلاء القوم قد ظلوا متمسكين ببعض عاداتهم وتقاليدهم[2].

من هذا المنطلق، يمكن طرح العديد من الأسئلة أهمها:

- كيف توزع الوندال في الأراضي التي احتلوها بعد الاستيلاء على قرطاجة؟.
- كيف كان شكل الحكومة؟.
- وكيف كانت العلاقة بين الغالبين الوندال والمغلوبين الرومان وبين الوندال والمور؟.

لقد تمسك جنسريق وحلفاؤه من بعده بفكرة فصل رعاياه الجرمان عن سكان المقاطعات، فلم يسمحوا إطلاقا بالزواج المختلط ، ولكن مع ذلك لم يتمكنوا من منع جنودهم من تذوق الحياة الرومانية، حيث إرتدوا الملابس الثمينة، وأصبح الكثير منهم يذهب إلى الملاعب والمدارس[3].

كما قسم المجتمع الوندالي إلى ثلاثة طبقات أساسية هي:

أ- النبـــــلاء: النبالة لم تكن مسألة وراثية في المجتمع الوندالي، وإنما تكتسب بفضل مزايا الشخص وشجاعته، وتستمر معه بفضل الشهرة التي يحصل عليها في المعارك[4]. ويحصل هؤلاء النبلاء على العديد من الامتيازات في إفريقيا، مثل

(1) - Cornevin Robert, Histoire de l'Afrique, des origines au XVI siècle, Payot, Paris, 1969, PP .187-190.

(2) - Louis Marcus, Histoire des vandales depuis leur première apparition jusqu'à la destruction de leur empire en Afrique, 2ème éd, Paris, 1838, P. 190.

(3) – De Mougeot (E.), La fin de l'empire Romaine en occident et les royaume barbanes dans l'histoire de la pleiade, éd. Gallimard, Paris, 1956, PP. 1294-1295.

(4) – Louis Marcus, Op. Cit., PP. 191-198.

الحصص الواسعة من الأراضي المحتلة، كما كان البعض منهم يشكلون عناصر أساسية في مجلس الأعيان، أو ضباط أساسيون في قصر الملك، إلى جانب ذلك كان منهم الموظفون الساميون الذين كلفوا بتفتيش معامل الأسلحة والمؤسسات الملكية. ومن هنا، نستنتج أن جنسريق كان حريصا على أن يكون أعوانه دائما من الوندال، سواء كانوا موظفين ساميين أو مستشارين[1].

ب- طبقة المحاربين: كان الوندال رجال محاربين بالدرجة الأولى، فالوندالي رغم حصوله على قطعة أرض يعتبر جنديا مطالب بالخدمة العسكرية دائما، وهو معفى من الضرائب التي كان الأهالي مطالبين بها.

ج- طبقـــة العبيـــد: جلب الوندال معهم بعض العبيد عند قدومهم من اسبانيا، بالإضافة إلى الذين وجدوهم في شمال إفريقيا واستغلوا الكل في فلاحة الأرض[2].

ثانيا- نظـــام الحكـــــم:

1. الملكيـــة:

كان نظام الحكم ملكيا وراثيا، شأنه شأن باقي الشعوب الجرمانية، لكن جنسريق أدخل تعديلات على نظام الوراثة في شمال إفريقيا، وجعل الحكم يعود إلى الأكبر سنا من كل الأمراء المنحدرين من السلالة الوندالية من غير اشتراط الانحدار المباشر من الملك السابق[3]. أما فيما يخص مهام الملك، فلا شك أنها توسعت، فلم يعد كما كان سابقا بل أصبح ملكا بأتم معنى الكلمة، حيث توسعت سلطته وأصبحت ليس لها حدود، رغم وجود مجلس يدعى مجلس الأعيان أو ما يعرف بمجلس العقلاء الذي كان يستدعيه الملك للاستشارة كلما اقتضت الضرورة لذلك[4].

---

(1) – De Mougeot, Op. Cit., PP. 1295-1298.

(2) – Louis Marcus, Op. Cit., P. 190.

(3) - Gautier (EF.), Genséric roi des vandales, Payot, Paris, 1935, P. 113.

(4) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص. 250-251.

2. مجلس الأعيان:

يتكون هذا المجلس حسب ما يذكره بروكوبيوس من عدد غير محدود من الرجال الذين تتوفر فيهم شروط عديدة أهمها: كبر السن، رجاحة العقل، والمكانة الاجتماعية البارزة داخل القبيلة. وهكذا فهم يشكلون مجلسا من مشاهير الرجال الذين يستدعيهم الملك في بعض الظروف لاستشارتهم، لكن يفهم من بعض روايات نفس المؤرخ أن صوت الملك يبقى دائما هو الفاصل في كل القضايا[1].

3- المقاطعـــات:

يذكر بعض المؤرخين أمثال سعيد عمران أن جنسريق كان قد قسم إمبراطوريته إلى خمسة مقاطعات هي:

أ- المـــزاق (Byzacene).

ب- نوميديـــا (Numidie).

ج- أبارتيـــان (Abaritane).

د- الجيتـــول (Getulie).

هـــ- زغـــوان (Zengitane).

4. النظـــام البلـــدي:

كان لمجالس المشيخة (Curies) في العهد الروماني ثلاثة اختصاصات هي:

- الإدارة الداخلية والمحلية للمدينة (بمثابة رؤساء القبائل في وقتنا الحاضر).
- القضاء الإداري، وهو يعوض كاتب العدل وقضاة المصلحة.
- قضاء المنازعات.

وبدورهم لم يعرقل حكام البلديات الوندال تلك الصلاحيات، بل ربما كانت صلاحياتهم أوسع، خاصة في مجال المنازعات، لدرجة أننا نجدهم يتدخلون في كل القضايا المدنية والجنائية، فيما عدا بعض الحالات الخطيرة، التي تستدعي تدخل القاضي السامي الذي وضعه جنسريق في قرطاجة[2].

---

(1) - Procopius, I, 7.

(2) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 252.

يفهم أيضا من بعض النصوص، أن الوندال كانوا وضعوا في المدن وكلاء مهمتهم المحافظة على الأمن وضمان تبعية السكان لهم، ورغم الإجراءات الشديدة التي وضعها هؤلاء القوم في بعض المناطق حتى يتجنبوا الثورات فإنه يمكننا قبول الرأي القائل بأن المدن في عهدهم كانت قد تخلصت من نظام الجباية والإدارة الرومانية، وبدأ وضعها يتحسن واستقلالها يزداد مع اتساع دائرة نشاطها[1].

ثالثا- الديـــانـــــة:

أمام الوضع المزري الذي عرفته أحوال الإمبراطورية الرومانية في كثير من المجالات لاسيما السياسية والاقتصادية، والتي أثرت بشكل واضح على الجوانب الاجتماعية، لم تجد مفرا من الاستغاثة بسلطة الكنيسة التي تعاظمت في تلك الفترة، حيث أصبحت تشكل تنظيم اجتماعي وسياسي يقوم على العقيدة الدينية والأفكار الذهنية التي تبلورت في شكل نشاطات مدنية، ما لبثت أن تحولت إلى سلطة موازية للسلطة المدنية، لهذا الأمر كان رجال الدين محل اهتمام كبير من طرف الأباطرة الرومان لأنهم يحفظون مصالحهم في شمال إفريقيا[2].

إضافة إلى هذا الاهتمام الذي أعطاه الأباطرة لرجال الدين، فقد ازداد تعاظم شأنهم من جراء انتشار نفوذ الكنيسة في الحواضر والأرياف، إلى درجة أن سلطة رجال الدين صارت تكافئ السلطة المدنية بل تتجاوزها من حيث التأثير على الفئات الاجتماعية التي أضناها تعسف السلطة وأتعبها ظلم الحكام[3]، وما زاد في قوة رجال الدين تنامي ممتلكاتهم وتراكم ثروتهم، فشكلوا بذلك قوة اقتصادية كان لها التأثير البالغ على مجريات الأحداث السياسية التي تخص العلاقة بينهم وبين الوندال[4].

وفي أوائل القرن الرابع الميلادي، عرفت الكنيسة اضطرابات خطيرة، تمثلت في انقسامها إلى طرفين متنازعين. الطرف الأول كان يتمثل في الكاثوليك الذين كانوا يقفون في صف سلطة الإمبراطورية مقدمين لها كل الدعم والولاء ومدعمينها بالوقوف

---

[1]– محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 252.

[2] – محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظلال الاحتلال الروماني، ج2، ص. 392.

[3] – Gautier (E.F.), Op. Cit., PP. 122-123.

[4]– محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص. 393.

في وجه كل المناهضين لسيادة روما في شمال إفريقيا، أما الطرف الثاني فتمثل في الدوناتيين المعارضين لسلطة الإمبراطورية والمنحازين إلى الثوار المناوئين لها[1].

كانت الحركة الدوناتية تعتبر في نظر السلطات الرومانية نحلة متطرفة، عكس الكنيسة الكاثوليكية التي تميز قساوستها بالمرونة وإلى حد كبير مع مطالب الأباطرة الرومان، حتى ولو كان ذلك على حساب مبادئ المسيح عليه السلام[2]، ولهذا السبب كانت النتيجة سقوط ضحايا كثيرون من المسيحيين الدوناتيين من أجل الدفاع عن مبادئ الديانة التي حاول الأباطرة الرومان أن يسخروها لخدمة مصالحهم السياسية التي كانت تهدف إلى التحكم في المنطقة المغاربية[3].

ونتيجة لتلك الظروف، ظهر تحالف بين الدوناتيين والثوار الريفيين الذين أطلق عليهم الرومان إسم الدوارين ويعود ذلك إلى إلتقائهم في الأهداف العامة مع الدوناتيين خاصة بعدما حاول أصحاب الكنيسة الرسمية الكاثوليكية في قرطاجة الوقوف إلى جانب السلطات الإمبراطورية أن ينكلوا بالحركة الدوناتية، عند ذلك التقت أهداف ثورة الريفيين بالحركة الدوناتية في الوقوف في وجه الاضطهاد الروماني[4].

وبانضمام الثوار الريفيين إلى الحركة الدوناتية تمكن الطرفان من الوقوف في وجه الكنيسة الكاثوليكية وقاموا بكبح النشاط السياسي والعسكري للأباطرة الرومان، وكانت النتيجة انتشار الكنائس الدوناتية وازدياد نشاط الثوار الريفيين، فاضطرت الكنيسة الكاثوليكية إلى الاستنجاد بسلطة الإمبراطور الروماني، وذلك لمساعدتها في بناء كنائس جديدة في بعض المدن والأرياف وذلك حتى تنافس أو تقضي على الكنائس الدوناتية وتحاصر تحركات الثوار الريفيين[5].

---

(1)– محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص ص. 101–112.

(2) – Tertulien, Apologetique texte établi et traduit par J.P. Waltzing Coll les belle lettres, Paris, 1929, PP. 71-85.

(3) – محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص. 20.

(4) – عمران عبد الحميد، الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر، مذكرة مقدمة لنيل رسالة الماجستير في التاريخ القديم، نوقشت بجامعة قسنطينة 2004–2005، ص ص. 139–142.

(5) – Gautier (E.F.), Le passé de l'Afrique du nord, ed., Payot, Paris, 1942, PP. 259-266.

1. الأريـــــوسيـــة:

الأريوسية أو الأريانية (Arnianism) هي مذهب مسيحي ظهر في القرن الرابع الميلادي على يد كاهن اسمه آريوس.

ولد آريوس في قورينا (ليبيا الحالية) عام 256 من أب اسمه أمونيوس من أصل ليبي تلقى تعليمه اللاهوتي في أنطاكيا[1]، في مدرسة لوسيان الأنطاكي، بعدها اتجه إلى الإسكندرية وهناك عينه البابا أسقف بكنيسة بوكاليس (Baucales).

تميز آريوس بموهبته في الخطابة والفصاحة اللغوية، حيث يتمكن من توصيل أفكاره للعامة والمفكرين ونشر أفكاره عن المسيح كواعظ ومرشد ديني في الإسكندرية[2].

يرى أريوس أن ياسوع كائن فانٍ وهو ليس بإله بأي معنى وماهو سوى معلم يوحى إليه[3]، ولهذا أضحى رمزا للتوحيد، حتى أن كل من جاء بعده وأنكر التثليث وصف بأنه أريوسي نسبة إلى مذهبه المعروف بالأريانية[4].

2. معتقدات المذهب الأريوسي:

تنص عقيدة التوحيد المسيحي التي تبناها أريوس، على أن الله واحد فرد غير مولود، لا يشاركه الإنس في ذاته تعالى، فكل ما كان خارجا عبد الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء، وبإرادة الله ومشيئته. وهذا يعني أن المسيح، ضمن هذا التعريف بشرا مخلوقا[5].

---

(1) – أنطاكيا: مدينة تاريخية تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد 30كلم من شاطئ البحر المتوسط، وهي تعتبر من المدن المقدسة عند المسيحيين الشرقيين، بنيت سنة 301 ق.م من مكان مدينة الإسكندرونة من طرف أحد القادة العسكريين يدعى سليقوى نيكاتور.

(2) – نهـاد خياطة، الفـرق والمذاهب المسيحية من البدايـات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائـل، دمشـق، 2002، ص ص. 81-82.

(3) – Lincoln, The holy blood and the Holy Grail, PP. 279-289.

(4) – Lincoln, Idem, P. 281.

(5)– نهاد خياطة، نفس المرجع، ص. 82.

كما أن المذهب الأريوسي لا يعتقد بألوهية المسيح، فهو مولود من الله الأب، لذلك فإن علاقته مع الأب هي علاقة بنوة وليست علاقة مساواة أو مشاركة في ذات الطبيعة الإلهية[1].

يمكن أن نلخص أفكار أريوس عن السيد المسيح في النقاط التالية:

- المسيح غير أزلي وقد خرج من العدم مثل باقي خلائق الله وبحسب قصد ومشيئة الله.
- هو ليس إلها كما يعتقد المسيحيون ومعرفته محدودة.
- لأنه مخلوق إلهي فإن الله قد منحه الحق في أن يسلك طريق الصلاح والكمال.

3. أتبـــاع المذهب الأريوسي:

لقيت هذه العقيدة في البداية أنصارا كثيرين في الإسكندرية في أوساط الطبقات الدنيا وخارجها، وعلى صعيد الحكام فإن الإمبراطور البيزنطي قسطنطنيوس ابن قسطنطين كان قد أعلن نفسه أريوسيا.

وما إن حلت سنة 359م حتى استبدلت المسيحية الرومانية بالأريوسية، وعلى الرغم من محاولة تحولها في مجمع القسطنطينية عام 381م، إلا أنها استمرت في الانتشار وفي كسب أنصار جدد.

4. موقف الكنيسة الكاثوليكية من الأريوسية:

يعد أريوس من وجهة نظر الأرثودوكسية زنديقا شكل خطرا على العقيدة المسيحية، ويقوم خلافه مع الكنيسة على أطروحة واحدة، وهي أن ياسوع كان كائنا إلهيا وما هو إلا معلم يوحى إليه، ولهذا رفض أباء الكنيسة هذا المذهب بشكل رسمي في مجمع نيقيا عام 325م، حيث صاغوا القسم الأول من قانون الإيمان الذي يقول بألوهية المسيح ولتسويته فيها مع الأب وأعلنوا حرمان أريوس وجميع أتباعه من مباشرة شعائرهم الدينية. ولكن هذا لم يكن يوقف انتشار الأريوسية بين المسيحيين

حيث أنها كانت قد مصر والشام والعراق وآسيا الصغرى وأصبحت سنة 359 منتشرة في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية[1].

---

[1]– نهاد خياطة، المرجع الساق، ص. 83.

5. موقف الوندال من الديانة المسيحية:

لقد كتب القديس فيكتور دي فيتا ما يلي:

"لقد شمل نهبهم وإحراقهم وتقتيلهم كل ما كان في طريقهم، وحتى الشجر فإنهم أفسدوه حتى لا يتركوا ورائهم ذلك القوت القليل للذين فروا من وجوههم نحو الجبال والكهوف والمغارات... وقد أصاب أذاهم بشكل خاص الكنائس والمقابر والأديَرة، فكانوا يبادرون بإحراق بيوت الصلاة قبل إحراق المدن والقرى المحصنة، كما أنهم كانوا يستعملون كل أنواع التعذيب لإجبار أساقفة مشهورين وقساوسة أتقياء على تسليمهم ثرواتهم الخاصة، وما تحتويه كنائسهم من ذهب وفضة، وقد توفي كثير من رجال الدين بسبب العذاب... إن عدد الأساقفة والأعيان الذين أرغموهم على حمل الأثقال مثل الجمال والدواب لا يحصى، وقد رأينا منهم من سقط ومات تحت الأثقال".

ويضيف نفس الكاتب: "لقد أحرقوا أثاث المنازل الفخمة وسووا جدرانها مع الأرض، فلم يبق شيء من تلك المباني الفخمة التي كانت تزدان بها المدن..."[2].

كما أورد بوسيديوس القالمي (Possidius de Calama)[3].

"لقد تسببت قساوتهم ووحشيتهم – الوندال– في إخلاء البلاد كلها من السكان ولم ينجو من جرائمهم الفضيعة الأساقفة ورجال الدين والكنائس وما تحتويه من أدوات مقدسة وزخارف جميلة"[4].

---

(1) – Lincoln, Op. Cit., P. 283.

(2) – Victore de vita, I, 1, 2, 3.

(3) – بوسيديوس القالمي: عرف بأنه واضع سيرة صديقه الحميم القديس أوغسطين أسقف هيبوريجوس (عنابة)، نشأ في شمال غرب إفريقيا من والدين وثنيين، تتلمذ على يد القديس أوغسطين في دير بهيبوريجيوس، سمي أسقفا على مدينة كالما سنة 397م، يعد من بين أعداء الدوناتية وكل الوثنيين في فترته ولمزيد من المعلومات أنظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة :WWW. Wikipedia.org .

(4) – Possidius, Santi Angustini vita, ed. H.T. Wesskotten, London, 1919, P. 28.

حاولت الحملة العسكرية الوندالية إخضاع البربر لسلطتها لكن بدون جدوى، فظلت في صراع ديني طويل، مما أدى إلى استعمال العنف من طرفهم بهدف نشر المذهب الأريوسي والقضاء على الكاثوليكية، ويعتبر هذا العمل من بين الأسباب المباشرة في إضعاف ممتلكاتهم في إفريقيا[1].

تجدر الإشارة إلى أن الوندال كانوا قد استعملوا شتى الوسائل لبلوغ أغراضهم، كتوزيع مناصب الحكم المؤقتة وتقديم التكريمات والأغراء بالأموال. أما الذين رفضوا اعتناق مذهبهم فكانوا يعاملونهم معاملة خاصة، فبمجرد أن يلقوا القبض على أي مذنب ارتكب جريمة عمدا أو عن غير عمد، فإنه يعرض عليه أن يعفى من العقاب مقابل أن يغير معتقده، أو يتعرض إلى التنكيل الجسدي[2].

ومن بين أعمال التعذيب قطع الألسنة والأيدي والاعتداء على الكنائس وتعذيب القساوسة ونفيهم، نتيجة لذلك نجد عددا كبيرا من الكاثوليك رضخوا للأريوسية[3]. ونتيجة للدور السياسي الذي لعبته الكنيسة الكاثوليكية، طبق الوندال ثلاثة أوجه أساسية في سياستهم الدينية لمواجهة أي عمل تقوم به الكنيسة.

ففي سنة 454م استرجع الكاثوليك معظم كنائسهم خاصة الموجودة في مدينة قرطاجة، لكن بعد عامين أي سنة 457م تم غلقها من جديد، ولم يسلم المسيحيين الكاثوليك من أيدي الوندال إلا بنقل الإمبراطور زينون (Zinon)[4].ولو لفترة، إذ سرعان ما كلف جنسريق أحد رجاله بمهمة البحث عن الكتب المقدسة الموجودة بحوزة القساوسة وتجريدهم من كل الوسائل التي كانت بإمكانها أن تساعدهم على نشر مذهبهم. وبهذا، تتجلى سياسة جنسريق في فرض عقيدته على الأهالي بالقوة، إلى جانب حرصه على منع تسرب المبادئ الكاثوليكية بين الوندال. ورغم ذلك،

(1) – Albertini, Marcus (G.)et Yver (G.), L'Afrique du nord française dans l'histoire, éd. Archat, Lyon, Paris, 1937, P. 120

(2) – Marcus (L.), Op. Cit., P. 217.

(3) – Bourgeois (Claude), Op. Cit., P. 217.

(4) – Marcus (L.), Op. Cit., P. 236.

فإن اضطهاد جنسريق للمسيحيين لم يكن عاما، ولم يأت بأي مرسوم خاص ضد الكاثوليك[1].

بنفس السياسة تظاهر جنسريق تجاه الأرستقراطية في منطقة البروقنصلية، خاصة منهم أعضاء مجلس الشيوخ، حيث قام بنفي العديد منهم نحو إيطاليا والشرق، وأرغموا على التنازل عن ممتلكاتهم[2]، وفي هذا الأمر رأى بعض المؤرخين في إجراءات جنسريق هذه عملا لحماية الوندال وممتلكاتهم في هذه المنطقة[3].

كما اشتد الاضطهاد في عهد هونريك، حيث زاد التسلط والاستبداد والكره المتبادل بين الطرفين الكاثوليك والأريوس، حتى في فترة الهدوء التي طبقها هونريك ليتفرغ لتصفية وإبعاد معتنقي المانوية، وبمجرد أن انتهى من تلك القضية، عاد إلى قضية الكاثوليك، وهذا يفرض على كل موظفي الإدارة والمحاكم اعتناق المذهب الأريوسي، إذا أراد الاحتفاظ بمنهجه، هذا وهو ما أدى إلى مغادرة الكثير من الكاثوليك وظائفهم، لكن الأريوسيين لم يكونوا في المستوى لتعويض الكاثوليك في مناصبهم، فأصدر الملك أمر تشغيل الكاثوليك كعبيد في المزارع وتجريدهم من كل ممتلكاتهم حتى يتراجعوا عن موقفهم[4].

كان هونريك يرفض غير الأريوسيين في الاشتغال في الوظائف العامة وما الهدنة التي قام بها بضغط من الإمبراطور زينون سوى خدعة ومكيدة نتيجة إلحاح هذا الأخير مقابل احترام الأريوسيين الذين يعبثون في الشرق[5]. وكان هنريك قد جلب السلام للأريوسيين الموجودين في الشرق، لكن سرعان ما عاد هونريك إلى سياسة الاضطهاد ونفي العديد من الكاثوليك إلى سردينيا وصقلية،

(1) – Martroge, Genseric, Le longuet vandale en Afrique, PP. 342-345.

(2) – Amond Bleghy, Saint Augustin ou l'Afrique du V siècle, Limoges, 1945, P. 336.
(3) – Courtoi (CH.), Op. Cit., P. 292.
(4) – Diel Charles, Histoire de la domination Byzantins en Afrique, Paris, 1896, P. 10.
(5) – Courtois (CH.), Op. Cit., P. 243.

وقام بهجومات على مختلف الممتلكات الكاثوليكية وحوّلها للأريوسيين معتقدا في ذلك أن ضرباته تلك ستحطم وتنقص من شأن الكنيسة الكاثوليكية[1].

لقد أصدر الملك هونريك عام 483م أمرا بغرض تنظيم مجمعا في فيفري من عام 484م يجمع بين أب فقيه الكاثوليك وأساقفة الأريوس بهدف التفافهم والتقارب فيما بينهم، لكن هذا المجمع باء بالفشل نظرا للصراع الذي شب بين الطرفين، مما أدى بهونريك إلى وضع نهاية لذلك المجمع بعد افتتاحه بأقل من أسبوع ولم يأت بأية نتيجة تذكر، لذلك أصدر الملك مرسوم في 25 فيفري من نفس السنة بهدف إجبار الكاثوليك على اعتناق الأريوسية وفرض الضرائب عليهم[2].

على الرغم من كل تلك الظروف التي كان يعيشها الكاثوليك ظلوا على مذهبهم[3]، ويذكر فيكتور دي فيتا أن مواطنا اسمه فيكتوريانوس (Victorianus) من أكبر الأغنياء في إفريقيا اقترح عليه هونريك منصب شرفي مقابل تنازله عن عقيدته، فأجابه بدون تراجع على أنه مستعد أن يضحى بكل ممتلكاته على أن لا يترك ما تعلمه في الكنيسة الكاثوليكية[4].

وفي عهد جونتاموند الذي خلف هونريك تواصلت سياسة الاضطهاد كذلك ضد الكاثوليك، رغم التظاهر بالتسامح الديني الذي أبداه هذا الملك بالقرارات التي أصدرها والمتمثلة في إلغائه لقرارات النفي سنة 485م والأمر بعودة رجال الدين من المنفى، لكن الجدير بالذكر فإن ذلك التساهل طبق فقط على رجال الدين الأقل أهمية، بينما الأسقف أوجان (Eugene) لم يسمح له بالعودة إلى قرطاجة حتى سنة 487م، كما لم يسمح لديكليروس (Declirus) بالعودة إلى غاية سنة 495م، ويعود أسلوب الليونة الذي أبداه هذا الملك إلى التدخل البيزنطي المستمر، وظهور حركات استقلالية وهجمات المور المتكررة، وتحرك الكاثوليك لاسترجاع حريتهم خاصة بعد انعقاد

(1) – Courtois (CH.), Idem, PP. 294-295.

(2) – Courtois (CH.), Idem, P. 299.

(3) – Martroy (F.), Genseric, La conguête des vandales en Afrique et la destruction de l’empire de l’occident, Paris, Hachette, 1907, P. 266.

(4) – Martroy (F.), Op. Cit., P. 267.

المجمع الروماني سنة 487م أين تحصل الكاثوليك بمقتضاه على بعض الحقوق منها حرية التنقل[1].

واستمر الهدوء حتى عهد الملك تراسموند الذي بدأ يبحث عن الأسباب التي أدت إلى رفض الكاثوليك للمذهب الأريوسي[2]، لكنه لم يستعمل العنف مثل سابقيه من الملوك الوندال، غير أن هذا لا يعني أنه لم ينتهج أي عمل ضد الكاثوليك، إذ أنه قام بغلق كنائس عديدة، وهدم البعض منها، ومنع إنشاء مباني دينية جديدة، بل الأكثر من ذلك لجأ إلى أسلوب الترغيب والترهيب لجلب الكاثوليك إلى عقيدته[3].

أما في عهد هلدريك الذي كان يوصف بالميل إلى السلام وكرهه للعنف والحروب، فقد استطاعت الكنيسة الكاثوليكية استرجاع حريتها، بعدما أمر هذا الملك بعودة الأساقفة إلى البلاد، وتم تعيين أساقفة جدد، كما عقد عدة تجمعات جهوية بهدف حل بعض المشاكل المطروحة على مستوى الكنيسة الإفريقية، نذكر منها المجمع الذي انعقد في شهر فيفري من عام 525م، والذي كان بمثابة الفرصة الأولى التي استعادت فيها الكنيسة الكاثوليكية قوتها وحقوقها [4].

كما استمر الوضع في عهد جليمر الذي لم يكون له الوقت الكافي لانتهاج أية سياسة دينية جديدة، إذ بمجرد اعتلائه العرش تدخل الإمبراطور جوستينيانوس، بإرسال قائده العسكري بليزاريوس الذي وضع حد للنفوذ الوندالي في شمال إفريقيا[5].

نستنتج مما سبق، أن الوجود الوندالي في شمال إفريقيا استطاع أن يوضح مدى هشاشة ارتباط المور بالكنيسة المسيحية الكاثوليكية، إذ أن المدة البسيطة التي سيطر فيها الوندال، كانت كافية لإزالة عقيدة يفترض أنها لا تزول من قلوب الأفراد.

كما أن رغبة الوندال في نشر الأريوسية التي تشكل عقيدتهم، لم تكن السبب الرئيسي لضرب الكاثوليكية، بل لأنها تشكل عائقا في وجه السيطرة الوندالية على شمال إفريقيا كما أنها تمثل العقيدة المسيطرة على الوضع.

(1) – Courtois (CH.), Op. Cit., P. 301.
(2) – Bourgeois (Claude), Op. Cit., P. 222.
(3) – Marcus (L.), Op. Cit., P. 343.
(4) – Mercier (E.), Op. Cit., P. 154.
(5) – Cornovin (R.), Op. Cit., P. 236.

رابعا- اللغـــــــة:

إن معرفتنا للغة الوندالية لازالت نسبية، لكن ما يمكن أن نستنتجه انطلاقا مما ورد على لسان بعض علماء اللسانيات أنها تنحدر من فروع اللغة الجرمانية[1].

لقد أعطي لها بعض اللغويين(les philologues) اسم أوستيك (Ostique) [2] وهو اسم مشتق من اللغة القوطية انطلاقا من الترجمة الموجودة في الإنجيل المحمول فيها خلال القرن الرابع الميلادي[3].

والجدير بالذكر، هو أن الوندال كانوا قد احتفظوا بلغتهم الجرمانية أثناء تواجدهم بالجزء الغربي بأوربا[4]، لكن ذلك الانقلاب الكبير الذي أحدثته تلك الشعوب الجرمانية وهي تجتاح أوربا بأكملها، خاصة في جزئها الغربي الذي كان له نتائج سياسية وثقافية لاسيما على الجانب اللغوي إذ تأثرت باللغة اللاتينية من جانبين. الجانب الأول يتعلق بالقواعد الخاصة بها، أما الثاني في مجال استعمالها. وانتهى الأمر بزوال اللاتينية لكن بتسارع مضطرب ومختلف من منطقة لأخرى، حيث ضربت وبشكل كبير في أكثر الأماكن ذات الصلة الوثيقة جدا باللغة اللاتينية مثل المنطقة المنحصرة بين نهر الدانوب وجبال الألب التي تحولت فيها اللغة الرسمية تدريجيا إلى اللغة الجرمانية[5].

كل ذلك أدى فيما بعد إلى اندحار تدريجي للاتينية في شمال إفريقيا، أين كان ارتباطها بالموريين ضعيف أصلا، ومع مرور الوقت وببداية الوجود البيزنطي صارت اللغة اللاتينية أكثر هشاشة واتجهت نحو الزوال النهائي بقدوم العرب المسلمون[6].

---

(1) – Courtois, Op. Cit., P. 221.

(2) – أوستيك: قسمت اللغات الجرمانية القديمة إلى ثلاثة مجموعات، ولغة الأوستيك هي إحدى هذه المجموعات التي استعملت لدى الوندال، وهي الآن تعتبر من اللغات الميتة الغير مستعملة، لمزيد من المعلومات أنظر: وكيبيديا الموسوعة الحرة:

(3) – Mosse (F.), Manuel de la langue gothique, Paris, 1942, P. 20.

(4) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 260.

(5) – Jean Marie Klinkenberg Willy Bal, Des langues Romaine ; introduction aux études de linguistique Romaine, Publié par De Boeck university, 1999, PP. 146-147.

(6) – Jean Marie Klinkenberg Willy Bal, Idem, P. 147.

رغم التمسك الكبير الذي أبداه الوندال بلغتهم الوندالية التي أطلق عليها الأوستيكية إلا أنهم وأثناء تواجدهم بالجزء الشمالي لإفريقيا اضطروا إلى تعلم اللغة اللاتينية، حيث استعملوها في مراسلاتهم، كذلك كتبت بها مختلف العقود الصادرة عن الجهات الرسمية الوندالية[1].

كذلك يستفاد من بعض المصادر أن دراسة اللغة اللاتينية من قبل الوندال خاصة في حالة السلم كانت من بين اهتماماتهم الأساسية لإشغال أوقات فراغهم، وربما حبا في لغتهم التي كانت لغة الكنيسة يدرسون بها في مختلف الكنائس، وقد حاولوا تطويرها كي تستوعب مختلف الفنون والأدب آنذاك[2]. ورغم أن اللغة الليبية هي الأخرى كانت متداولة بين البربر الإفريقيين، إلا أن هذا لم يمنعهم من تعلم اللغة الوندالية رغم سيطرة اللغة اللاتينية على الجوانب الإدارية ومختلف الفنون التي كانت سائدة في تلك الفترة[3].

خامسا- العمـــــران:

لقد أثبتت العديد من الدراسات الحديثة أن الوندال أثناء غزوهم لشمال إفريقيا لم يدمرو كل شيء مثلما كان يعتقد في كثير من الدراسات السابقة، بل تركوا بعض المؤسسات مثل البنايات الدينية، كالكنائس والمعابد ومنها الدنيوية كالقصور والمساكن[4]. كما أن عملية البناء التي كانت قائمة في العهد الروماني استمرت كذلك في العهد الوندالي، ولكن ليست بنفس الوتيرة، وهذا ما تظهره الإشارات العديدة التي بينتها الدراسة التي قام بها نوال دورال (Noel Dural) سنة 1964 في منطقة سوفولتولا (Sufetula) التي أعطت للباحثين استنتاجات كثيرة أثبتت وجود تحويلات وبناءات ترجع إلى القرن الخامس الميلادي[5].

كما أن الأعمال الحديثة اتجهت كذلك إلى نفس الرأي، فالقطع الرخامية التي استخدمت أجزاء منها في المسجد الكبير بتونس تعود إلى النصف الثاني من القرن

---

(1) – محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 260.

(2) – Marcus (L.), Histoire des vandales depuis leurs premières apparitions jusqu'à la destruction de leur empire en Afrique, 2ème éd. Poret, Paris, 1938, PP. 411-415.

(3) – Courtois (CH.), Op. Cit., P. 222.

(4) – Dominique Arnauld, Histoire du christianisme en Afrique les septe premières siècle, Karthala, 2001, P. 178.

(5) – Duval (N.), Les églises africaines à deux abrides, Recherche sur la liturgie Retienne en Afrique du nord, recherche archéologique à sbeitla, T.1, Paris, 1972, P. 20.

الخامس الميلادي أو إلى بداية القرن السادس الميلادي، وهذا ما يؤكد أن هناك إشارة واضحة لحركة بناء في قرطاجة، وهناك تبادلات تجارية في مجال البناء بين المملكة الوندالية وشرق البحر الأبيض المتوسط[1].

إن عملية الغزو وما تقتضيه من اهتمامات عسكرية جعلت الوندال يهملون الجوانب العمرانية وينسون الاهتمام بهندستها وفنونها، ولهذا كانت بيوتهم متواضعة تشبه الأكواخ مقارنة بالعمران الروماني الراقي، لكن بعد استقرارهم وسيطرتهم على الشمال الإفريقي كانوا قد سكنوا الكثير من القصور التي ورثوها عن الرومان وبنو منازلهم ذات الشكل المستطيل.

كما اهتموا بالحدائق المحيطة بالنافورات والشلالات وهذا ما ينبئ بحياة الرفاهية التي عاشها الوندال ولو لفترة وجيزة[2].

(1) – Herazi Noureddine, Mémoire de métrise d'histoire, Soutenue à Aix, 1975, PP. 60-61.
(2) – Courtois (CH.), Op. Cit., P. 225.

سادسا- الأدب والفنـــــون:

الجدير بالذكر في هذا المجال، هو أن الوندال لم يكن لهم رصيد ثقافي، يمكن أن يقدموه للمور تعويضا كما كان لدى الرومان[1]. كما أن الطبقة المثقفة تأثرت كثيرا بسيطرت الثقافة والفكر الروماني، يمكن أن نستدل على ذلك من خلال النتائج التي ترتبت عن عملية التنقيب بتونس بمنطقة سيدي غريب بالقرب من قرطاجة والتي أثبتت وجود آثار تمثلت في حُلي هي عبارة عن أحزمة وأقفال من الحديد وأسورة وخواتم وفخار تعود كلها إلى أصول جرمانية وندالية، كما وجدت كذلك فسيفساء لطفل بلباس روماني يعود تاريخها إلى الفترة الوندالية في كنيسة بمنطقة تبسة[2].

أخيرا، يمكننا أن نستنتج أن الاستقرار الذي عرفه الوندال في شمال إفريقيا بعد الإستلاء على قرطاجة كان له التأثير الإيجابي على الوندال أنفسهم خاصة في الجوانب الاجتماعية، فالتحول كان ظاهرا في سلوك الوندال خاصة لدى طبقة المحاربين الـــذين استفادوا من قطع أراضي زراعية، غيرت من طباعهم العسكرية إلى ســـلوكات أكثـــر تحضرا، يتضح ذلك في التغيرات التي طرأت على أنظمة حكمهم خاصة فـــي مجـــال توريث الملك.

سمح الصراع الديني الذي عرفته شمال إفريقيا إلى ظهور المذهب الأريوســـي وانتشاره، وقد كان من أهم مبادئه العقائدية التوحيد المسيحي الذي يـــدعو إلـــى أن الله واحد فرد غير مولود.

لقد عرفت الكنيسة المسيحية أثناء الفترة الوندالية تنكيلا كبيرا ومحاصرة شديدة لما كانت تلعبه من دور سياسي واجتماعي، يتضح في مدى تأثيرهـــا علـــى مختلـــف الشرائح الاجتماعية.

رغم الانتشار الواسع والسيطرة الكبيرة للغة اللاتينية في شمال إفريقيـــا، إلا أن الوندال احتفظوا بلغتهم التي تنحدر من فروع اللغة الجرمائية رغم تأثرها باللاتينية التي حاولوا أن يتعلموها، وهذا ما ساهم في الاندحار التدريبي للاتينية عند المورين.

(1) – Dominique Arnauld, Op. Cit., P. 178.

(2) – Yvon Thebert, « La romansation d'une cité indigène d'Afrique Bulla Regia » Mélange de l'école française de Rome Antiquité, 1973, PP. 247-312.

لقد أكدت الدراسات التي أجريت على الجانب العمراني خاصة المتعلقة بالقرنين الخامس والسادس الملاديين أنه يوجد بعض الانجازات العمرانية، ولكن يتفق الأغلبية من الدارسين على أن عملية البناء، لم تكن بنفس الوتيرة التي كانت في الفترة الوندالية ولهذا تبقى فكرة التدمير والتخريب التي اسندت للوندال قضية مبالغ فيها تحتاج إلى إمعان النظر جيدا.

الخاتمة

الخـــــاتمة

بعد دراستي المعمقة لموضوع التحولات الحضارية لشمال إفريقيا في الفترة الوندالية وأهم التغييرات التي طرأت على العديد من الجوانب الحضارية، تمكنت من الوقوف على مجموعة من القناعات ضمنتها النتائج التالية:

عرفت الإمبراطورية الرومانية العديد من الأزمات بشمال إفريقيا في شتى المجالات ورغم محاولات الإصلاح إلا أنها فشلت في تحقيق الأمن والإطمئنان، وهذا يرجع بالدرجة الأولى إلى الذهنية التوسعية التي ميزها أسلوب الاستغلال للأرض والسكان في آن واحد، وذلك ما جعل المغاربة القدماء الموريين وكل ممتلكاتهم عبارة عن وسيلة استغلال لتلبية حاجيات المعمرين الرومان، فكانت النتيجة الحتمية تدهور العلاقة بين الفئتين الرومانية والمورية، مما أدى بهذه الفئة الأخيرة إلى التمرد ومحاولة التحرر والانعتاق.

وهكذا كانت الفرصة جد سانحة بعدما علم المغاربة القدماء بتحركات الوندال في الجهة الشمالية للبحر المتوسط ورغبتهم في اجتايح شمال إفريقيا وإزاحة بقايا الإمبراطورية الرومانية، لهذا كانت عملية الاستنجاد بهم من أجل ضرب الوجود الروماني في بلاد المغرب والقضاء على عملية الاستغلال التي عانى منها الفرد المغاربي لمدة طويلة.

لقد تمكن الشعب الوندالي في حملته في شبه جزيرة إيبيريا عبور مضيق جبل طارق واكتساح الشمال الافريقي بسهولة كبيرة، رغبة منهم في تحقيق العديد من الأهداف. من بينها ذلك المعلن عنه والمتمثل في ضرب القوة العسكرية الرومانية والانتصار عليها في أهم مستعمراتها. إلا أنه يمكننا من خلال اجتياح الوندال لشمال إفريقيا استنتاج وبشكل تلقائي الأهداف الخفية للوندال والتي يمكن أن نلخصها فيما كانت تمتلكه بلاد المور من إمكانيات إقتصادية هامة أسالت لعاب هؤلاء المغامرين، غير أنه لم يمض وقت طويل عن وجود الوندال في شمال إفريقيا حتى اكتشف المغاربة بأن هؤلاء الغزاة الجدد لا يختلفون كثيرا عن الرومان الذين سبقوهم، فبمجرد

السيطرة على الأراضي وافتكاكها من أصحابها التي كانت بحوزتهم سواء كانوا من الرومان أو المترومنين المغاربة القدماء (المور) اتجهت العلاقة بين الطرفين – المور والوندال– إلى التدهور فظهرت الصراعات التي تجلت في كثير من الكيانات السياسية المحلية التي انقلبت على الوندال وقاومتهم مكبدة إياهم هزائم في عدة معراك وخسائركثيرة في شتى المجالات أضعفتهم من جهة وسهلت مهمة الجيش البيزنطي للقضاء على تواجدهم بشمال إفريقيا من جهة ثانية.

كما اتضح لي من خلال دراسة التحولات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بأن الوندال لم يهملو هذه الجوانب خاصة بعدما انتقلوا من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار وهذا ما حاول الكثير من الباحثين الغربيين وخاصة أنصار الإمبراطورية الرومانية إخفائه بسبب العداء التقليدي الذي كان موجودا بين الإمبراطورية الرومانية والشعوب الجرمانية.

بناءا على ما سبق، أعتقد أن ما قام به الوندال ضد الوجود الروماني من قتل وتخريب لكثير من المنشئات العسكرية كانت قد تطلبته الظروف الحربية التي ميزت العلاقة بين الطرفين الروماني والوندالي، كما أن حجم التخريب والدمار الذي وصف من طرف الرومان وألصق بالوندال خاصة من قبل الكنيسة ورجال الدين المسيحيين كان مبالغا فيه، وخير دليل على ذلك احتفاظ الوندال بأهم القصور الرومانية التي استغلوها بعدما استتب لهم الوضع في شمال إفريقيا. كما أن العديد من معاصر الزيتون وبعض الوسائل الإقتصادية الأخرى التي استمر وجودها واستغلت إقتصاديا من طرف الوندال مثل العديد من الورشات التي اهتمت ببعض الحرف كالنسيج وصناعة الخشب والحديد.

كما أن الشواهد المادية والأدبية أكدت لنا وجود حركة تجارية نشيطة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

إن فترة الوندال في شمال إفريقيا ورغم سيطرتهم الجزئية على المنطقة يظهر بما فيه الكفاية أن المور كان وضعهم أحسن مما كان عليه في أواخر عهد

الإمبراطورية الرومانية، خاصة في المجال الإقتصادي، حيث كانت الضرائب أخف مما كانت عليه سابقا، ضف إلى ذلك وقف التموينات التي كانت ترسل إلى روما، والتي لا شك أن بقاؤها في شمال إفريقيا سيحسن من الوضع المعيشي للسكان برواج هذه المادة في السوق المحلية وانخفاض أسعارها.

ومهما يكن فإن ارتباط إسم الوندال بالخراب والدمار والوحشية، كان سببه تأثيرات الكنيسة ورجال الدين المعاديين للوندال الأريوسيين، وندرك هذا خاصة إذا علمنا أن أغلبية المصادر الأساسية لتاريخ الوندال هي كتابات رجال الدين المسيحيين.

حيث كانت العلاقة بين المور والوندال في عهد جنسريق ودية على ما يمكن استنتاجه من الكثير من الدراسات، غير أن تلك العلاقة سرعان ما تغيرت بعد وفاته مما أدى إلى ظهور العديد من الثورات، وهي الثورات التي استمرت حتى أقلعت جذور الوندال في كامل أرجاء المغرب القديم وإتاحة الفرصة للبيزنطيين في استعادة تركة الرومان التي أصبحت بمثابة الجثة الهامدة التي تفيدها جرعة السيروم التي تزوّد بها مهما كانت قيمتها العلاجية .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: بالعربية

1: **المصادر بالعربية:**

- ابن خلدون، تاريخ العبر، مج2، دار الكتاب اللبناني، 1966
- ابن عبد الحكم، فتوح مصر وإفريقيا، تحقيق عبد الله انيس الطباع، بيروت، 1964
- إعترافات القديس أوغسطين،ت. الخوري يوحنا الحلو، ط.الخامسة، دار المشرق، بيروت،1996 .

2: **المراجع بالعربية:**

- أندري إيمار، جانين أبوابي، تاريخ الحضارات العام، مج2، ترجمة فريد داغر،
- حسين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط7، 2000
- خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، ج1، تونس، 2007.
- سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط3، القاهرة، 1998.
- علي الغمراوي، مدخل إلى دراسات التاريخ الأوروبي الوسيط، بدون طبعة ولا تاريخ.
- علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، مصراته، 1967.
- ف. دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، ج.2، ت. نسيم اليازيجي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2000
- م. روستوف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج1، ت. زكي علي، محمد سليم سالم، بدون تاريخ.
- محمد إبراهيمي الميلي، الجزائر في ضوء التاريخ، دار البعث، قسنطينة، 1980
- محمد البشير الشنيتي، الدوناتية وثورة الريفين خلال القرن الرابع، مجلة الأصالة، عدد، 60، 1978.

– محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر.

– محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، الجزائر،

– محمد الصغير غانم، ثورة الريفيين الأوربيين ضد الاستعمار الروماني، مجلة التراث، العدد 13، سنة 2005.

– نهـــاد خياطة، الفـــرق والمذاهب المسيحية من البدايـــات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائـــل، دمشـــق، 2002.

– مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الجزائر، 1976.

– محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري، منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي.

3. الرسائل والمجلات:

– عمران عبد الحميد، الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر، مذكرة مقدمة لنيل رسالة الماجستير في التاريخ القديم، نوقشت بجامعة قسنطينة 2004–2005.

– محمد الصغير غانم، بعض من ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول ميلادي (ثورة تاكفاريناس) حولية المؤرخ الجزائري، العدد 1، 2003.

– محمد الصغير غانم، ثورة الريفيين الأوراسية ضد الاستعمار الروماني، مجلة التراث، العدد 13، باتنة، الجزائر، 2005

– محمد الصغير غانم، ثورة الريفيين الأوراسيين ضد الاستعمار الروماني، مجلة التراث، العدد 13، باتنة، 2005.

– يوسف عيبش ، الأوضاع الإجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الإحتلال البيزنطي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ والآثار، سنة (2007–2008).

– يوسف عيبش، الكيانات السياسية المورية في بلاد المغرب القديم، رسالة لنيل شهادة الماجستير

–

ثانيا: بالفرنسية

1. المصادر:

1. Apuleius, Apologia, XXV, 3.
2. Augustin » R. d'Histoire des Roli, 61, 1910.
3. Baker (G), Justinian, London, 1932.
4. Camps (G.), "L'inscription de Beja et le probleme de Dii Mauri", R.AF, 1954.
5. Camps (G.), "Les Bavares, peuples de Mauritanie cesarinne", R.A., 1955.
6. Camps (G.), Les bavars, peuples des mouritanies césariennes.
7. Camps (G.), Rex Gentium Mauroum et Romanoroum, Recherche sur les royaumes de mauretanie des VI et VII siècle, Ant. Afr., T. 20, 1984, P. 188.
8. Camps Fabrer (H.), L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, Ed. IMP. Officiel, Alger, 1953.
9. Corpus Inscriptioum Latinarum (C.I.L.), t. VIII, Berlin, R. Gagnat.
10. Gsell (S.), « Observations géographiques sur la revolte de Firmus », S.A.C., Tome 27.
11. Gsell (S.), Joly (CH.), Khamissa, Mdaourouch, Announa, Alger, 1922.
12. Pline l'ancien, H.N.V.
13. S. Gsell, Atlas archeologique de l'Algerie, F. 18, N° 519.
14. Sallustius, Bell, Jugurthinum, Trad, et annoté par G. Walter, Coll. Plieade, 1968.
15. Sallustius, Bellum ingurthinum.
16. ST. Augustine, The city of God, translated and abridged by G. Walsh and others, New York, 1958, 19. ¯ Camps (G.), Berbères aux marges de l histoire, éd. des espérides, Toulous, 1980, P. 125
17. ST. Austin, Contra epis. Parm., I, XI, 18.
18. Strabon, Géographie trad. Amédée trad en, ed. H. achette, Pris, 1880, livre 17.
19. Strabon, Géographie, trad, par I. Amedée, Paris, 1980.
20. Tacite, Annal, trad. Bornecque, Paris, 1956.
21. Tite livé, Histoire Romaine, trad, par Walter (G.), pleiade, Paris, 1968.
22. Procopius. Guerres des vandales, Trad. Dureau de la Malle dans l'Algériens ou manuel Algérien, ed. Fermin Didot, Paris, 1852.
23. Victor de vita, histoire des persécutions vandales.

2. المراجع:

أ. بالفرنسية:

1. Albertini (E), Tablettes D'Albertini, Actes prives de l'époque vandale, Arts et métiers graphiques, Paris, 1952.
2. Albertini (E.), Inscription Chrétienne des environs de Beronagie, dans C.R.A.I; et Belles lettres, 1925.
3. Albertini (E.), L'Afrique romaine.
4. Albertini, Marcus (G.), Yver (G.), L'Afrique du nord française dans l'histoire, ed. Archat, Lyon, Paris, 1937.
5. Albertini. (E.), Route frontière, Bulletin cinquantenaire de B.S.G.A.O., 1970.
6. Ammien Marcellin, Histoire, éd. Trad. M.A. Marie, Paris, 1984
7. Amond Bleghy, Saint Augustin ou l'Afrique du V siècle, Limoges, 1945.
8. André Berthier, L'Algérie et son Passé, A. et J. Picard, Paris, 1951.
9. André Peganol, L'empire Chrétien, Paris, 1947.
10. Attianus Historia Romana, Edition (1879-81), Empire,
11. Avezac (D.), Histoire et description de l'Afrique, Ed. STE, Géographique, Paris, 1951.
12. Brisson (J.), Gloire et misere de l'Afrique Chretienne, Paris, 1919.
13. Cagnat (R.),L'armée Romaine d'Afrique, Paris, 1912.
14. Cesar, Guerre civile, I, 32, 2, Le Fzig (1951).
15. Corippus (FIC.), Johannid, trad. Alix (J.), revue Tunisienne, (1899-1902.
16. Cornevin Robert, Histoire de l'Afrique des origines aux XVI siècle, Payot, Paris, 1969,
17. Courtois (Ch.), De Rome A l'Islam, Revue Africaine, T. 82, 1942.
18. Courtois (Ch.), Les Vandales et l'Afrique, Ed. Arts et Métiers graphiques, Paris, 1955.
19. Courtois (Ch.), Victore de vita et son œuvre, Imprimerie officielle, Alger, 1954.
20. Crousset (R.), et Leinard (E.G.), Histoire universelle des origines à l'islam, t.1, Gallimard, 1956.
21. De Mougeot (E.), La fin de l'empire Romaine en occident et les royaume barbanes dans l'histoire de la pleiade, éd. Gallimard, Paris, 1956.
22. Decer (F.), Fantar (M.), L'Afrique du nord dans l'antiquité, ed., Payot, Paris, 1981.
23. Desange (J.), Un témoignage peu connu de procope, sur la Numidi randale et Byzantine, Byzantian, T. 33, 1963.
24. Desanges (J.), "Témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandale et byzantine", Byzantions, T. 33.
25. Desauges (J.), Catalogue de trebus Africaines, DaKar – Paris, 1962.

26. Despois (J.), La Tunisie orientale, sahel et basse steppe, P.U.F., 1955, Paris.
27. Diel Charles, Histoire de la domination Byzantins en Afrique, Paris, 1896.
28. Dominique Arnauld, Histoire du christianisme en Afrique les septe premières siècle, Karthala, 2001.
29. Duval (N.), Les églises africaines à deux abrides, Recherche sur la liturgie Retienne en Afrique du nord, recherche archéologique à sbeitla, T.1, Paris, 1972.
30. Engel (F), sur l'histoire des anciens Germains, ed. sociales, Paris, 1976.
31. Fevrier (P.A.), Approche du Maghreb Romain, vol. 2, ed. sud, 1989.
32. Février (P.A.), Masuna et Masties, Ant. Afr., T. 24, 1988.
33. Foriel (M.), Histoire de la Gaude méridionale sous la domination des conquérants germains, Vol.4, Ed. Polin, Paris, 1983.
34. Gafé (J.), Les classes sociales dans l'empire Romaine, Paris, 1914.
35. Galand (L.), "Baguates et Barghwata", Hesperis, (35), 1948,
36. Gascou, "Le cognomen Gaetulucus, en Afrique Romain", M.A.H.2, 1970,
37. Gautier (EF.), Genséric Roi des vandales, Payot, Paris, 1935.
38. Gautier (E.F.), La passé de l'Afrique, les siècles abscures, Paris, 2ème éd;1952.
39. Gilbon (E.), Histoire de la décadence et de la chute de l'empire romaine, Vol.21, Ed. Le fevre, Paris, 1819.
40. Gilbon, The history of the decline and fall of the roman empire.
41. Herazi Noureddine, Mémoire de metrise d'histoire, Soutenue à Aix, 1975.
42. Jean Marie Klinkenberg Willy Bal, Des langues Romaine ; introduction aux études de linguistique Romaine, Publié par De Boeck university, 1999.
43. Kotula (Th.), Firmus, Fils de Nubel, Akademia Budapest, 1981.
44. Lassere (J.M.), La Byzacene Meridionale au milieu du VI, S.P.C., d'après la Johannide de Corippus Pallas, Revue d'Etude Antiques, T. XXXI, Montpellier, 1984.
45. Lat (E.), Essai sur la province Romaine de Mauritanie cesarienne, Paris, 1891, PP. 55-56 ; Chenier, Recherche historique sur les Maures, 1884;
46. Le Gall (J.), L'Itinéraire de Genséric, roi des vandales, revue de philologie, T. LXII, 1936
47. Lecoq (A.), Le commence de l'Afrique romaine, T. 12, 1932, PP. 339-343.
48. Lemormant (CH.), De Sanley (F.), De la Saussage (L.), De Nitte (J.), Marquis de lagay, De Laongperver (AD.), Maurg Victor Langlois (AL.), et Fournier du Lac (H.),Lettres du Baron Marchant, Sur la Numismatique et l'histoire, Nouvelle édition, Paris, 1851.

49. Lepelley (C.), Peuplement et richesse de l'Afrique Romaine Tardive - Réalités Byzantines "Homme et Richesses dans l'empire Byzantin, IV-VII, Paris, 1989.
50. Leschi (L.), Etude d'epigraphie, P. 65.
51. Louis Gabriel Michaud, Biogrfie ancienne et moderne : Histoire par ordre alphabtique de la vie Publique et privée de tous les Hommes avec la collaboration de plus de 300 Savents et littérateurs Français ou étranger, 2em édition , 1865.
52. Mahfoud Kaddache, L'Algérie dans l'Antiquité SNED, 1972.
53. Marcurs Louis, Histoire des randales depuis leur première apparition jusqu'à le destruction de l'empire de l'occident, Paris, Hachette, 1907.
54. Marcus (L.), Histoire des vandales depuis leurs premières apparitions jusqu'à la destruction de leur empire en Afrique, 2ème éd. Poret, Paris, 1938.
55. Martrove (F.), Genséric la conquête vandale en Afrique, Paris, 1907.
56. Martroye, Genseric, Le longuet vandale en Afrique.
57. Mercier (E.), Histoire de l'Algérie septentrionale, Vol. 3, Ed. Leroux, T.1, Paris, 1888.
58. Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale, Trad. Paris, 1888.
59. Mesnage (J-M.), Le chrestianisme en Afrique Romain, Alger, 1914.
60. Michel Janon, L'Aures au VI siècle, note sur le récit de procope, antiquités africaines, T. 15, 1980, P. 348; et Cornovin Robert, Histoire ancienne de l'Afrique du nord des origines aux XVI siècle, Payot, Paris, 1969.
61. Monceaux (P.), « Léglise danatiste aux temps de S.
62. Monceaux (P.), Histoire letteraire de l'Africain chietienne, Paris, 1901.
63. Morizot (P.), Pour une nouvelle lecture de l'elogium de Mastre, Ant. Afr., T. 25, 1989
64. Mosse (F.), Manuel de la langue gothique, Paris, 1942.
65. Pallu de lessert, Faste des provinces Africaines sous la domination Romainne, Tome 2, Paris, 1901.
66. Papen Cordt, Le commerce de l'Afrique au temps des vandales.
67. Petit (P.), Histoire générale de l'empire romain, 3 Vol,. Ed. Du seuil, Paris, 1978.
68. Picard (G .Ch.), La civilisation de l'Afrique romaine, Ed. Plon, Paris, 1959..
69. Possidius, La vie de Saint Augustin, Victor de vita, Histotia Perseculatinis vandalicae (d'après CH. A. Julien).
70. Rachet (M.), Rome et Berbère, 1970.
71. Remandon (R.), La crise de l'Empire Romaine, P.U.F. Paris, 1964.
72. Salama (P.), Les voies romaines de l'Afrique du nord, Ed. IMP. Officielle, Alger, 1951, PP. 35-50.
73. Serge Lancel, Histoire de la persécution vandale en Afrique, les Belle lettres, 2002.

74. Soumagne (CH.), Ouvriers agricoles on radeurs de celliers ? Les circoncellions d'Afrique, annales d'histoire économique et sociale, T. IV, 1934.
75. Tauxier (H.), Etude sur les migrations des migrations des tribus Berbères avant l'islamisme, dans Rev. Afr. T.6, 1982.
76. Tertulien, Apologetique texte établi et traduit par J.P. Waltzing Coll les belle lettres, Paris, 1929.
77. Thouvenot (R.), Rome et les barbares Africains, 1945.
78. Tissot (CH.), Recherche sur la géographie comparée de la Mauritanie tingitane, Paris, 1877.
79. Walting (P.), Tertulien, apologetyque, Paris, 1929 .
80. Yanoski (J.M.), Histoire de la domination des Vandales en Afrique, Furmin Didot, Paris, 1844.
81. Yvon Thebert, « La romansation d'une cité indigène d'Afrique Bulla Regia » Mélange de l'école française de Rome Antiquité, 1973.

ب- بالإنجليزية:

1. A.H.M. Jones, Thought on the decline of the roman empire, bulletin of the faculty of arts, Cairo university, Vol. xxx, part 1, 1961.
2. Augustin (St.), The city of god, Pinguin, 1972.
3. Baker (G.), Justinian, London, 1932.
4. Baynes (N.), The decline of the roman empire in western Europe, jour of roman studies, 1943.
5. E. lot, The end of ancient world and the beginnings of the middle ages, London, 1931. Ellsworth hung ton, Climatic change and agricultural exhaustion as elements in the fall of home, Quarterly journal of economics, 1916.
6. Gregory of Tours, The history of franks, Pinguin, 1974. Iness Millar, The spice trad of the Roman Empire, 29 BG to 641 AD, Oxford, 1969. Jordanes,The risigothic conquest in contor-the medivale world, London, 1963. Kotula (Th.), Firmus, Fils de Nubel, Akademia Budapest, 1981. Mosse, The Birth of middle age, Oxford, 1935.
7. Lincoln, The holy blood and the Holy Grail.
8. Ostrogorsky, History of By..antine state, Oxford, 1956.
9. Otto John Maenchen- Helfen , Golden, 1992.
10. Robinson, Ancient history, New York, 1965.
11. Stroyenaud (J.) and Munro (D.), The middle ages, 395-1500, New York, 1942.
12. Walbank (F.), The decline of the roman empire in the west, New York, 1935. Zacharias of Mitylene, Syriae Chroniche, Tran, F.J. Hamilton, London, 1899.

الملاحق

المـــــــلاحق رقم 1:

أباطرة الإمبراطورية الرومانية الغربية

الأمبراطور	فترة حكمه
هونوريوس	395- 423م
فالنتنيان الثالث	425- 455م
بيترونيوس مكسيموس	- - 455م
أفيتوس	455- 456م
ماجوريان	457- 461م
ليبيوس سيفيروس	461 – 465م
أنتميوس	467 – 472م
أولبريوس	- – 472م
جليسريوس	473 – 474م
يوليويس نيبتوس	474 – 475 م
روموليوس أوغسطولوس	475- 476م

نهاية الإمبراطورية الرومانية في الغرب

المـــــــلاحق رقم 2:

ملوك الوندال في شمال إفريقيا

الملك	فترة حكمه
جنسريق	429- 477م
هونريك	477- 484م
جونثاموند	484- 496م
تراسموند	496- 523م
هلدريك	523 – 531م
جليمر	531 – 534م

نهاية التواجد الوندالي في شمال إفريقيا

المـــــــلاحق رقم 3:

لوحة من ألواح ألبرتيني المكتشفة بمدينة تبسة

مكان تواجدها حاليا : متحف الجزائر

رقم الجرد: Ib 08

وصفها: لوحة خشبية

طولها: 15.6سم

عرضها: 10.4 سم

سمكها : من 0.3 إلى 0.8 سم

حالتها : حسنة

هي عبارة عن عقد بيع فتاة عذراء بتاريخ 17 سبتمبر 493م إسمها جيمينا جنوريل ، من طرف لوليانوس الذي تزوجها فيما بعد بمبلغ مالي قدر بـــ 12000فولس .

المـــــــلاحق رقم 4:

لوحة من ألواح ألبرتيني المكتشفة بمدينة تبسة.

مكان تواجدها حاليا: متحف الجزائر

رقم الجرد: Ib 13

وصفها: لوحة خشبية .

طولها: 15.6 سم

عرضها : 6.3 سم

سمكها: 0.6 سم

حالتها : حسنة

هي عبارة عن عقد بيع عبد بتاريخ 05 جوان 496م من طرف دوناتيانوس إبن فيكتور ساتيرنيتيوس لـــ جيمينيوس ابن فورنيناتوس، بمبلغ قدر بـــ 700 فولس.

الفهارس

– فهرس الأعلام:

الرقم	إسم العلم	الصفحات
01	أبيانوس	24
02	أتالوس	.58
03	أتيوس	66
04	أريوس	120، 122.
05	أسبار	.65
06	ألاريك	.55
07	ألبارتيني	5، 103، 108.
08	أمالافريد	.92
09	أنطلاس	.92
10	أوبطا الميلي	.36
11	أوجان	126
12	أوجان	.126
13	أوغسطين	36، 40.
14	باترنوس	.111
15	بارون مارشان	.99
16	بروكوب (بروكبيوس)	3، 4، 70، 76، 77، 80، 81، 84، 85، 87 ، 88، 90، 93، 98، 101، 111، 118، 123.
17	بلاسيديا	.65
18	بليزاريوس	70، 94، 109، 127.
19	بلين القديم	45، 50
20	بوسيديوس القالمي	123،
21	بوسيديوس	65، 123.
22	بولتيس	.111

23	بونيفاس	52،53، 54، 61، 63، 65، 66، 72.
24	بيليزاريوس	
25	بيوبوريوس	112.
26	تاسيت	50.
27	تاكفاريناس	35.
28	تراساموند	76، 78، 79، 80، 86، 90.
29	ثيودريك	
30	ثيودريك	92.
31	ثيودوسيوس	58.
32	ج. برسيون	37.
33	جليمر	76، 81.
34	جنسريق	54، 61، 63، 65، 66، 69، 71، 72، 75، 76، 77، 78، 80، 82، 88، 89، 94، 95، 99، 104، 105، 106، 116، 117، 118، 124، 125، 134.
35	جود جيزل	57، 76.
36	جوداس	94.
37	جوردانوس	76.
38	جوستينيان	5، 95، 96، 127
39	جونتاموند	76، 78، 79.
40	جونثاريوس	59.
41	جوندريك	57، 58، 59، 76.
42	جيرونتيوس	58.
43	دوبر جنتيس	111.
44	دوناتوس	34.

45	دوناتيانوس	.112
46	ديزانج	.84
47	ديكليروس	.126
48	زوسيموس	.40
49	زينون	.78، 124
50	ساتورنين	.112
51	سعيد عمران	.118
52	شارل أندري جوليان	.45، 54، 79، 99، 104
53	شارل باتان	.98
54	غوتيي	.85، 105
55	فالب	.99
56	فردبال	.58
57	فكتوريانوس	.126
58	فكتورينيس	.111
59	فلانتينيان	.54
60	فوتنيس	.112
61	فورتون	.112
62	فيرموس	.27
63	فيفرييه	.86
64	فيكتور دي فيتا	.5، 73، 81، 91، 101، 109، 128، 131
65	فيكتور	.112
66	فيليكس	.112
67	قسطنطين	30، 31،32، 33، 85، 122
68	قسطنطينوس	.40
69	قونسطانس	.58

70	كاباون	80، 90، 91.
71	كامبس	83، 86.
72	كركلا	41.
73	كورتوا	5، 7، 45، 46، 63، 64، 70، 81، 88، 105، 107.
74	كوليانيس	112.
75	لوسيان الأنطاكي	121.
76	مارنيوكرانتيوس	111.
77	مازونا	86.
78	ماسينيسا	15.
79	ماكسيموس	58.
80	مالكوس	76.
81	محمدالبشير شنيتي	7، 48.
82	موديران	85
82	موديران	85.
84	موريزو	84.
85	نوال دورال	129.
86	نوبيل	27.
87	هلدريك	76، 80.
88	هومر	92.
89	هونريك	66، 76، 77، 78، 80، 88، 89، 92، 100، 107، 125، 126 .
90	هونوريوس	47، 85.
91	يابداس	5، 90.

2- فهرس الأماكن والبلدان:

الرقم	البلد أو المكان	الصفحات
01	إسبانيا	47، 49، 51، 55، 56، 58، 59، 61، 67، 69، 72، 109، 117.
02	الإسكندرية	121، 122.
03	إسكندينافيا	50.
04	آسيا	108، 123.
05	إشبيليا	59.
06	إفريقيا	2، 3، 5، 6، 7، 8، 10، 11، 12، 17، 18، 19، 20، 26، 36، 44، 46، 51، 52، 53، 54، 56، 59، 63، 64، 66، 68، 69، 70، 73، 75، 76، 81، 82، 88، 89، 93، 94، 97، 98، 99، 100، 103، 106، 108، 113، 114، 116، 117، 119، 120، 124، 126، 127، 128، 129، 130، 132، 133، 134، 135.
07	الألب	46.
08	ألتافا	64، 69، 86.
09	أمبينز	57.
10	أنطاكيا	120.
11	أودر	46، 47.
12	الأوراس	5، 8، 15، 16، 33، 57، 68، 73، 82، 84، 85، 88، 89، 90، 106، 114.
13	أوروبا	46، 85، 63، 108
14	أوزايا	35.

15	إيطاليا	81، 109، 124.
16	باريس	5، 98، 99.
17	بانوينا	47.
18	البلطيق	46.
19	البلقان	40
20	بوردو	57.
21	بيتيكا	58.
22	تبسة	5، 71، 89، 103، 130.
23	ترانسلفانيا	47.
24	ترير	57
25	تلمسان	86.
26	تونس	129.
27	تيبازة	70.
28	تيمقاد	89.
29	جبال البرانس	55، 57.
30	الجزائر	11، 70، 99، 135، 136.
31	جزر البليار	47.
32	جزيرة إيبيريا	132.
33	داشيا	47.
34	روما	2، 22، 24، 25، 27، 37، 38، 40، 41، 42، 43، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 66، 72، 88، 120، 134.
35	سافار	86.
36	سبتة	70.
37	سراقوسة	108، 129.

38	سردينيا	72، 87، 88، 125.
39	سكيكدة	99.
40	سور الغزلان	35.
41	سيدي غريب	130.
42	سيرتا	71، 72، 89.
43	الشام	123.
44	شرشال	70
45	شمال إفريقيا	5، 6، 7، 8، 10، 12، 17، 18، 19، 26، 36، 44، 51، 53، 56، 63، 66، 69، 76، 82، 93، 97، 98، 108، 114، 117، 127، 129، 130، 132، 133، 134.
46	صيقيلية	125.
47	طريفة	60، 69.
48	طنجة	60، 63، 64، 69.
49	العراق	123.
50	عنابة	64، 65، 67، 69، 70، 71، 72، 75.
51	غاليا	47.
52	غاليسيا	55، 58.
53	فرنسا	47، 109.
54	فندل	45، 66.
55	فيستول	46، 47.
56	قالمة	99.
57	قرطاجة	5، 18، 20، 22، 24، 29، 31، 33، 35، 55، 61، 65، 66، 67، 72، 75، 80، 91، 93، 98، 104، 106، 108، 109، 113، 116، 118، 120، 124، 129،126، 130.
58	قرطاجنة	59.

59	القسطنطينية	93، 122.
60	قصر باغاي	89.
61	قفصة	84
62	قورينا	120.
63	قيصرية	3، 70.
64	الكلت	46.
65	كورسيكا	72.
66	كويكول	73
67	لبدة	92.
68	لمباز	89.
69	ليبيا	120.
70	مداوروش	16.
71	المزاق	71، 72، 81، 82، 84، 88، 92، 100، 104، 105، 106، 118.
72	المزالمة	16.
73	مصر	108، 123، 135
74	مضيق جبل طارق	36.
75	موريطانيا	13، 14، 29، 47، 59، 65، 72، 81، 90.
76	ميتز	57.
77	نوميديا	65، 66، 69، 71، 72، 73، 81، 90، 92، 106، 113.

فهرس الخرئط والأشكال:

الرقم	عنوان الخريطة أو الصورة	الصفحة
01	أهم القبائل التي سكنت المغرب القديم أوخر ق.4م	08
02	الوندال في أوروبا سنة 406 م	43
03	التواجد الوندلي في اسبانيا (409- 429م)	44
04	عبور الوندال إلى الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط	55
05	مسار الغزو الوندالي في شمال افريقيا	57
06	الكيانات المورية في المغرب القديم أثناء الاحتلال الوندالي	83
07	نقود وندالية مكتشفة المغرب القديم (متحف الدانمارك)	99
08	نقود وندالية مكتشفة المغرب القديم (متحف الدانمارك)	100

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ –ي
المـــــــــدخل: الوضعية العامة في شمال إفريقيا قبل الغزو الوندالي	
أولا – تحديد الإطار الجغرافي لبلاد المغرب القديم	03
1. مجموعة الغرب .	04
أ. الموريون	04
ب. قبائل البقواط	05
ج. قبائل البوار	05
2. مجموعة الوسط والشرق.	06
أ. النوميديون	06
ب. الجيتوليون	06
ج. الموزلامي	07
ثانيا– الخريطة البشرية لبلاد المغرب القديم أثناء فترة الإحتلال الروماني .	08
الفصـــل الأول– أوضاع شمال إفريقيا قبيل مجيء الوندال	
1. الأوضـــاع الاقتصاديـــة.	11
أ. الزراعية	11
ب. الصناعية	13
ج. ضرب السكة	14
د. التجارة	14
هـــ. الضرائب	15
2 – الأوضـــاع الاجتماعيـــة.	17
3– الأوضـــاع الدينيـــة.	21
أ. قبل ظهور المسيحية	21

ب. بعد ظهور المسيحية	22
ج. تحالف الكنيسة مع السلطة	23
د. الحركة الدوناتية	25
4- الأوضـــاع السياسية والعسكريـــة.	26
أ. ثورة الريفيين	27
ثانيا- أفول نجم الدولة الرومانية	29
1.التفسيرات الطبيعية	30
2. التفسيرات الدينية	30
3 . التفسيرات الإقتصادية	32
4. التفسيرات السياسية	34
الفصـــل الثاني: الغزو الوندالي لشمال إفريقيا وأسبابه	
أولا- التعريف بالوندال.	39
ثانيا- أسباب الغزو الوندالي لشمال إفريقيا.	46
1. في الجانب الأوروبي.	46
2. في الجانب الإفريقي.	47
ثالثا- مسار الغزو الوندالي	51
1. في الجزء الأوروبي.	51
2. في الجزء الإفريقي	53
الفصل الثالث: التحولات السياسية	
أولا- نطاق السيطرة الوندالية في الحوض الغربي للبحر المتوسط.	65
ثانيا - الكيانات السياسية.	70
1.الكيان الوندالي.	70

2. الكيانات السياسية المورية	77
ثالثا – موقف المور من الغزو الوندالي.	84
1.ثورة الأوراس	85
2.ثورة الجمالة	86
3. ثورة انطلاس	88
رابعا – نهاية الوندال.	89
الفصـــل الرابع: التحـــولات الاقتصـــاديـــــة في شمال إفريقيا أثناء فترة الوندال	
أولا : ضرب السكـــــة.	96
ثانيا : الزراعـــــة.	101
– دور الأهالي في الزراعة.	104
ثالثا: النشاط الحرفي.	106
رابعا :التجـــــارة	107
1–التجارة الداخليـــــة.	108
2– التجارة الخارجيـــــة.	112
الفصـــل الخامس: التحـــولات الاجتماعيـــة والثقافيـــة	
أولا : طبقات المجتمـــع الوندالـــي.	115
ثانيا : نظـــام الحكـــــم.	116
ثالثا : الديـــــانـــة.	118
رابعا : اللغـــــــة.	127
خامسا: العمران	128
سادسا : الأدب والفنـــــون.	130
خاتمة	133

قائمة المصادر والمراجع

الملاحق

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الخرائط والصور

فهرس الموضوعات